شذرات وأقوال

مارتن لوثر كنغ

إعداد وترجمة

غيداء محمد

شذرات وأقوال

مارتن لوثر كنغ

شذرات وأقوال

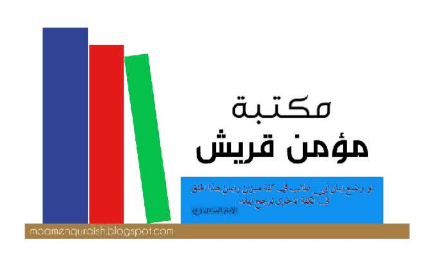
مارتن لوثر كنغ

إعداد وترجمة

غيداء محمد



2014



شذرات وأقوال **مارتن لوثر كنغ**

إعداد وترجمة: **غيداء محمد**

الطبعة الأولى - نوفمبر 2014

ISBN 978-99958-70-83-6

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة

716 / دع / 2014



مسعى للنشر والتوزيع
Masaa Publishing & Distribution

ص.ب: 65317 المنامة، مملكة البحرين

هاتف: 221 177 77 973+

فاكس: 212 177 77 973+

البريد الإلكتروني: info@masaapublishing.com

الموقع على شبكة الإنترنت: www.masaapublishing.com

تصميم الغلاف: محمد النبهان

الصف والإخراج الفني



info@gradientmedia.net
www.gradientmedia.net

مقدمة

ولد مارتن لوثر كنغ في 15 يناير 1929 في الولايات المتحدة الأمريكية، وعمل كقس معمداني وناشط في الدفاع عن الحقوق المدنية. في 14 أكتوبر 1964 منح جائزة نوبل للسلام لدوره في حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة، والدفاع عن حقوق الأمريكيين السود. من أبرز منجزاته كان تنظيم عملية مقاطعة باصات النقل العام في مونتغمري، احتجاجا على التمييز العنصري ضد السود، وذلك في عام 1955.

ركز مارتن لوثر كنغ على المعارضة اللاعنفية، حيث كان مؤمنا بها كما آمن بها المهاتما غاندي، ونحى في خطاباته إلى التذكير بأهمية ترقية الجانب الروحي للإنسان حتى يقضي على مشكلات عصره، فقال:

«إن المشكلة الحقيقية هي أننا عبر عبقريتنا العلمية استطعنا تحويل العالم إلى قرية صغيرة، ولكننا عبر عبقريتنا الأخلاقية والروحية فشلنا في نشر الأخوة فيه.»

كما قال أيضا:

«إن القنبلة النووية ليست هي بالضرورة الخطر الحقيقي الذي نواجهه اليوم، والتي صنعها العلم المادي؛ ليس الخطر هو أنك تستطيع وضع القنبلة النووية في طائرة وإلقائها على رؤوس مئات الآلاف من البشر، على الرغم من خطورة ذلك. ولكن الخطر الحقيقي الذي تواجهه الحضارة اليوم هي القنبلة النووية التي تقبع في قلوب وأرواح الناس، والقادرة على تفجير أقبح أنواع الكراهية وأكثر أنواع الأنانية إضراراً: هذه هي القنبلة النووية التي علينا أن نخافها اليوم.»

اغتيل كنغ في ميمفس، تينيسي، عام 1968، وكان في ذلك الوقت يخطط للقيام بحملة سلمية معارضة أسماها حملة الفقراء، وكانت ستتقدم نحو العاصمة واشنطن. بعد وفاته تم منحه ميدالية الرئيس الفخرية، وفي عام 1986 تم تخصيص عطلة فيدرالية رسمية في الأسبوع الثالث من شهر يناير تحمل اسمه.



شذرات وأقوال

مارتن لوثر كنغ

لقد سعدت في الليلة السابقة في مدينة نيويورك بمشاهدة فيلم «الوصايا العشر»، وتمكنت من رؤية كافة جوانب الجمال في تلك القصة: كفاح موسى، وكفاح تابعيه المخلصين للخروج من مصر، ووصولهم إلى البرية، وسيرهم باتجاه الأرض الموعودة. في هذه القصة عنصر مشترك مع قصة أي شعب ناضل من أجل الحرية. إنها أول قصة تحكي بوضوح عن سعي الإنسان لنيل الحرية، كما أنها تفصل المراحل المحتومة التي تتبع هذا السعي وراء الحرية.

* * *

لقرون طويلة كانت القارة الأفريقية واحدة من أكثر القارات التي تم استغلالها في تاريخ العالم، فلقبت بالقارة السوداء، وهي القارة التي عانت من كل الألم والعذاب الذي اقترفته الشعوب الأخرى، وهي القارة التي ذاقت العبودية وأسوأ المستويات الحياتية الممكن لنا تصورها.

* * *

يبدو أن ثمة رغبة داخلية في الحرية في روح كل إنسان؛ إنها موجودة، وقد لا تتضح كلية في البداية، ولكنها في النهاية تخرج للعيان. يعرف الإنسان أن الحرية شيء أساسي، وأن سرقة الحرية من شخص ما هي بمثابة سرقة إنسانيته، وسرقة هبة له من خالقه، وكما قال أوثيلو في أحد أعمال شكسبير: «من يسرق محفظتي، يسرق نفايات؛ إنها لاشيء: كانت ملكي، ثم أصبحت ملكا له، وسببا في استعباد الآلاف؛ أما من يسرق مني حريتي فإنه يسرق مني ما لا يغنيه، وما يفقرني فعلا.

* * *

هناك شيء ما في الروح يتوق إلى الحرية. هناك شيء ما في أعماق الروح يتوق إلى أرض كنعان. لا يمكن للناس أن يكتفوا بمصر، فقد حاولوا لفترة طويلة أن يتأقلموا معها. الكثير من الناس لديهم مصالح في مصر، وهم غير متحمسين للخروج منها، فإن مصر تجلب لهم الثروة، وبعض الناس يستفيدون من مصر؛ ولكن الأغلبية لا يستثرون من مصر أبدا، ولن يكتفوا بذلك أبدا، وفي نهاية المسار يثورون ويبدأون بمناداة أرض كنعان.

* * *

في عام 1909 ولد شاب (كوامي نكروما[*]) في الثاني عشر من سبتمبر، ولم يعرف التاريخ في ذلك الوقت ما كان ينوي هذا الشاب عمله، وكان أبواه أميين، ولم يكونا جزءا من الحياة القبلية الأفريقية، ولم يكونا رؤساء قبائل، بل كانا متواضعين. كبر هذا الشاب، وذهب للمدرسة في أكيموتا في أفريقيا، حيث أنهى دراسته بامتياز، وقرر الذهاب إلى الولايات المتحدة الأميركية. وصل إلى أميركا وفي جيبه ما يعادل خمسين دولارا من الباوندات مستعدا للتحصيل العلمي، حيث توجه إلى جامعة لنكولن في ولاية بنسلفانيا، فبدأ الدراسة هناك، وبدأ بقراءة حكم أعظم الفلاسفة، وأعظم الحكم على مر العصور. أنهى دراسته هناك، وحصل على الماجستير في الفلسفة وعلم الاجتماع، وطوال سنوات دراسته في أميركا، كان فقيرا، وكان عليه أن يعمل بجد، حيث كتب في مذكراته أنه عمل في حمل الأمتعة في الفنادق، وفي غسل الصحون، وأثناء الصيف كان يعمل نادلا ليستطيع دفع مستحقات دراسته.

* * *

أكثر ما أثار إعجابي هو أن نكروما دخل في تلك الليلة، مع وزرائه الذين كانوا في السجن معه، لا برداء الملوك وتيجانهم، ولكن بقبعات السجن والمعاطف التي لبسوها طيلة الشهور التي مكثوها في السجن. وقف نكروما وألقى الخطاب النهائي على البرلمان، بالقبعة الصغيرة والمعطف اللذين لبسهما في السجن عدة شهور، محاطا بوزرائه. كانت تلك ساعة عظيمة، ساعة رحيل البرلمان السابق.

---

1. يعتبر الزعيم الغاني د.كوامي نكروما (21 سبتمبر 1909 - 27 أبريل 1972) من المناضلين الأفارقة الأوائل ضد الاستعمار، وكان أول رئيس لغانا المستقلة، وأبرز دعاة الوحدة الأفريقية وواحدا من مؤسسي منظمة الوحدة الإفريقية.

عندما خرجنا شاهدنا قرابة نصف مليون شخص مجتمعين على أراضي ملاعب البولو. كانوا ينتظرون هذه الساعة وهذه اللحظة منذ سنين. خرجنا من الباب ونحن ننظر إلى ذلك المبنى الجميل، ثم نظرنا إلى أعلى المبنى، حيث كان هناك علم صغير كان يرفرف في السماء لسنين عدة، وهو العلم البريطاني (يونيون جاك) لساحل الذهب. ولكن في الساعة الثانية عشر، رأينا علما صغيرا ينزل، وعلما آخر يصعد: نزل العلم البريطاني القديم، وصعد علم غانا. تلك أمة جديدة كانت قد ولدت للتو.

* * *

عندما وقف رئيس الوزراء نكروما أمام الناس المجتمعين في أراضي ملاعب البولو، وقال: «لم نعد مستعمرة بريطانية. نحن أحرار وسادة وطننا»، رأينا الدموع المنهمرة بين أعضاء الجموع الغفيرة، فوقفت هناك أفكر في أشياء كثيرة، ثم بدأت في النحيب؛ كنت أبكي فرحا، وأحسست بكل الصراعات، والآلام، والعذابات التي مر بها الناس ليصلوا إلى هذه اللحظة.



بعد أن ألقى نكروما ذلك الخطاب الأخير، أصبحت الساعة الثانية عشر والنصف. غادرنا، ونحن نسمع أطفالا في السادسة من العمر وكبار السن في عمر الثمانين والتسعين يمشون في شوارع أكرا صائحين: «الحرية! الحرية!»؛ لم يكونوا قادرين على نطقها بشكل صحيح، إذ لم يكن الكثير منهم يتقن الإنجليزية بشكل جيد، ولكن كانت لهم لهجاتهم الصادحة بكلمة «حرية»؛ كانوا يصيحون بها كما لو أنهم لم يسمعوا هذه الكلمة من قبل، فرنّت في سمعي أغنية زنجية قديمة:

أحرار! أخيرا! أحرار! أخيرا!

ما أعظم الله! أنا حر أخيرا!

كانوا يشعرون بذلك في أعماق أرواحهم، وفي كل مكان كنا نلتفت إليه، كنا نسمعها تصدح من سطوح المنازل، وكنا نسمعها من كل زاوية في الشارع، ومن كل ركن ومنحنى من بين الجموع: «الحرية! الحرية!». كان ذلك ميلاد أمة جديدة. كان ذلك هو الانعتاق من مصر.

* * *

في صباح يوم الأربعاء، تم افتتاح البرلمان بشكل رسمي، وقد استطعنا حضوره. هناك، ألقى نكروما خطابه الجديد كرئيس وزراء ساحل الذهب، بلا حاكم فوقه، مالكا كل قوة مكميلان الانجليزي، وقوة نهرو في الهند: أمته الآن حرة، وهو رئيس وزراء أمة ذات سيادة. دخلت دوقة كنت التي أصبحت الآن بلا سلطة، وقد كانت ممثلة عن ملكة إنجلترا، وهي الآن مجرد زائر عابر. في الليلة السابقة، كانت القائد الرسمي والمتحدثة باسم الملكة، والمتوجة على عرش ساحل الذهب، ولكنها الآن «غانا»، الأمة الجديدة، وهي الآن مجرد ضيف رسمي مثل مارتن لوثر كنغ ورالف بنش وكوريتا كينغ والآخرين، لأن هذه أمة جديدة، «غانا» جديدة برزت إلى الوجود.

* * *

يقف نكروما الآن كقائد لأمة عظيمة، وعندما تمر سيارته في الشوارع بعد افتتاح البرلمان، يصيح الناس الواقفون فيها: «يحيا نيكروما!»؛ حيث اسم نيكروما متوج في أنحاء المدينة، والكل يصيح باسمه، لأنهم يعلمون أنه عانى من أجلهم، وضحى من أجلهم، وذهب إلى السجن من أجلهم. كان ذلك ميلاد أمة جديدة.



والآن يوقن نكروما أنه سيواجه مشكلة التأقلم؛ ستكون هناك دائما صعوبات ما تقف أمامه. على سبيل المثال، هذه دولة تعتمد في معظم اقتصادها على غلة واحدة وهي الكاكاو. 60 ٪ من الكاكاو في العالم ينتج في ساحل الذهب، أو غانا. ولجعل النظام الاقتصادي أكثر استقرارا، سيكون من الضروري تبني الصناعات. غلة الكاكاو غير مستقرة اقتصاديا، ولا يمكن بناء اقتصاد متكامل اعتمادا عليها، وبالتالي يصبح تبني الصناعات ضرورة. كما أنه سيعمل على رفع المستوى الثقافي للمجتمع، حيث أن 90 ٪ من الشعب أمي، ومن الضروري رفع المستوى الثقافي للمجتمع برمته حتى يتمكنوا من مواكبة العالم الحر.

* * *

لا يجب أبدا نسيان حقيقة أن أمريكا عند ولادتها في عام 1776، عندما استقلت عن الامبراطورية البريطانية، كان تعداد سكانها لا يزيد عن أربع ملايين شخص، بينما يعيش في أميركا اليوم أكثر من 160 مليونا، لذلك علينا ألا نستخف بصغر حجم شعب ما، حيث أن أميركا كانت أصغر من غانا عند ولادتها.

* * *

في الأفق ملامح يوم عظيم؛ المستقبل بجانبه. إنه الآن يعبرالبرية الموحشة، لكن الأرض الموعودة بانتظاره.

* * *

لدى غانا ما نتعلم منه؛ أولا أن الظالم لا يعطي المظلوم حريته طواعية أبدا؛ عليك أن تجتهد لنيلها. وإن لم يقاوم نيكروما وشعب ساحل الذهب باستمرار، ثائرين ضد النظام، كانت ستظل مستعمرة للامبراطورية البريطانية. إن الحرية لا تعطى لأحد أبدا، لأن المستبد يُبقيك في حالة استعباد، وهو لا ينوي إخراجك منها، ولا يتنازل عنها طواعية أبدا. لذلك كان لابد من المقاومة القوية، حيث أن الطبقة الثرية لا تتنازل عن امتيازاتها بدون مقاومة قوية.

* * *

لا تخرجوا اليوم متمسكين بأي وهم. لا ترجعوا إلى منازلكم في أنحاء مونتغمري ظانين أن لجنة مدينة مونتغمري، وأن كل قيادات الجنوب ستتضافر لحل هذه المسألة لصالح الزنوج؛ نعم، ستحل المسألة، وستدور في عجلة حتمية. إذا انتظرنا حل المسألة من تلقاء ذاتها، فلن يُحل شيء أبدا. إن الحرية لا تأتي إلا عن طريق الثورة المستمرة، وعن طريق التحريض المستمر، وعن طريق الثورة المستمرة في وجه منظومة الشر. كانت واقعة احتجاج الباصات مجرد بداية، والآن تم السماح للزنوج بركوب الباص في مونتغمري، ولكن تلك فقط هي البداية. ولا تذهبوا للجلوس وعمل لا شيء لمجرد السماح للزنوج بركوب الباص، لأنكم إن توقفتم الآن، فإننا سنقبع في زنزانة الفصل والتمييز العرقيين لمئة سنة أخرى، وسيعاني أبناؤنا وأبناء أبنائنا من الاستعباد الذي عشناه لسنوات. إن الحرية لا تأتي طواعية أبدا. علينا أن نواصل العمل لننال الحرية، فهي لا تأتي بسهولة. سيكون من حسن حظنا لو كان القادة مقتنعين فعلا بالتنازل، ولكنهم ليسوا كذلك.

* * *

لو لم تحظ الهند بغاندي وأتباعه المخلصين، لما تحررت أبدا. لو لم تحظ غانا بنكروما وأتباعه، لظلت مستعمرة بريطانية. لو لم يكن هناك مناهضون للعبودية في أمريكا، من البيض والسود على السواء، لكان من المحتمل أن نكون واقفين اليوم في سجن العبودية. والسبب في ذلك هو أنه في كل عهد من عهود التاريخ البشري كان هناك أشخاص لا يبالون بقطع رقابهم، ولا باضطهادهم، ولا بالتمييز العنصري ضدهم، ولا بطردهم، لأنهم يعلمون أن الحرية لا تُعطى على طبق من ذهب، ولكنها تُمنح عن طريق التحريض المستمر والمتواصل.

* * *

إن أية أمة أو شعب قادر على التحرر من الطغيان بلا عنف. يقول نكروما في أول صفحتين في سيرته الذاتية التي نشرت في السادس من مارس -وهو كتاب رائع عليكم بقراءته- أنه درس الأنظمة الاجتماعية للفلاسفة الاجتماعيين، وأنه بدأ بدراسة حياة غاندي وأساليبه، وذكر أنه في البداية لم يقتنع بإمكانية التحرر من الاستعمار بدون ثورة مسلحة وجيوش وذخيرة. ثم ذكر أنه بعد أن استمر في دراسة غاندي وأساليبه، استنتج أن الطريقة الوحيدة للتحرر هي عن طريق اللاعنف والتحرك الإيجابي، وأطلق على برنامجه اسم «التحرك الإيجابي»، وهو شيء جميل، أليس كذلك؟ أن تكون هناك الآن أمة حرة، وأن حريتها لم تكن عن طريق الأسلحة والذخيرة.

* * *

بما أن الإمبراطورية البريطانية خرجت من غانا بدون عنف، فإنها لن تشعر بالمرارة تجاه غانا كما شعرت بها تجاه الصين. وبسبب ذلك فإن الإمبراطورية البريطانية عندما تغادر غانا فإنها ستتخذ موقفا مغايرا عما قد تتخذه لو كانت قد غادرت بقوة السلاح. علينا أن نثور بطريقة تضمن لنا إمكانية العيش مع الناس كما لو كانوا إخواننا وأخواتنا، ولا يجب أن يكون هدفنا أبدا هزيمتهم أو إذلالهم.

* * *

في ليلة الحفل الرسمي، كنت واقفا أتحدث مع بعض المدعويين، فلفت (مورديتشي جونسون) نظري إلى أن رئيس الوزراء كوامي نكروما كان يراقص دوقة كنت، فقلت: «ما أروع ذلك: العبد والتابع السابق يراقص الملكة تحت مظلة المساواة التامة». وقد كان ذلك ممكنا لعدم وجود مرارة بين الطرفين؛ سيكون باستطاعة هاتين الأمتين العيش والعمل معا لأن الحرية تم تحقيقها عن طريق اللاعنف، وليس عن طريق العنف.



ما يعقب اللاعنف هو خلق مجتمع متحاب؛ ما يعقب اللاعنف هو الخلاص. ما يعقب اللاعنف هو الصلح. ولكن ما يعقب العنف هو الوحدة والمرارة، وهذا هو ما يقلقني. فلنكافح بشغف وبلا هوادة لتحقيق العدل والسلام، ولكن لنتأكد أن أيدينا تبقى نظيفة في أثناء هذا النضال. فلنمتنع عن الكفاح بأسلحة الكذب والعنف والكره والحقد، ولنكافح عوضا عن ذلك بحب، حتى إذا ما جاء اليوم الذي تهوي فيه جدران الفصل العنصري في مونتغمري، عشنا مع الناس كإخوة وأخوات.

* * *

أصدقائي، لا يجب أن يكون هدفنا هزيمة السيد انجلهارت، أو السيد سيلرز، أو السيد جايل، أو السيد باركس. يجب أن يكون هدفنا هزيمة الشر بداخلهم. يجب أن يكون هدفنا كسب صداقة السيد جايل والسيد سيلرز والسيد انجلهارت. علينا أن نصل إلى مرحلة نعي فيها أن هدفنا الأسمى هو أن نعيش مع كل الناس كإخوة وأخوات في رعاية الله، وليس كأعداء.

* * *

عندما نظرت ورأيت مظهر رئيس الوزراء (نكروما) بقبعة السجن في تلك الليلة، تذكرت حقيقة أن الحرية لا تأتي بسهولة أبدا؛ إنها تأتي عن طريق العمل المضني والمشقة. إنها تأتي عن طريق ساعات من اليأس والإحباط.

* * *

الطريق إلى الحرية طريق صعب شاق، مليئ بالانتكاسات المؤقتة. أيما شخص أخبرك أن في مونتغمري اليوم كم من المشاكل أكثر من أي وقت مضى، فقد أصاب. عندما تخرج من مصر، فإنك ستصادف دائما عدد من المشاكل، وعدد من الانتكاسات المؤقتة. إن لم تواجه أي من ذلك فإنك لا تستطيع الانعتاق أبدا. وعليك أن تتذكر أن الفترة التي كانت خالية من المشاكل كانت هي الفترة التي رضي بها الزنجي صراحة بالفصل العنصري، والتمييز العنصري، والإهانة والاستغلال، وأن فترة ظهور المشاكل هي الفترة التي قرر فيها الزنجي أن يثور ويتحرر من ذلك. وهذا هو السلام الذي نسعى إليه: ليس هو السلام القديم السلبي البغيض الخالي من المشاكل، ولكنه السلام الإيجابي المستمر الذي تمثله الأخوة ويمثله العدل، ولا يمكن الحصول على ذلك من خلال فترة تغيب فيها المشاكل. إن الطريق إلى الحرية صعب.

* * *

غانا علمتني أن قوى الوجود تقف في صف العدالة. تلك الليلة، عندما رأيت العلم القديم نازلا، والعلم القديم صاعدا، رأيت شيئا جديدا. لم يكن ذلك حدثاً طارئاً مؤقتاً يظهر على مسرح التاريخ، بل كان حدثا ذا معنىً خالد، فهو يرمز إلى شيء. إنه يرمز إلى انتهاء النظام القديم، وبروز نظام جديد؛ النظام القديم باستعماره وتفرقته العنصرية وتمييزه العنصري انتهى، ويولد محله الآن نظام جديد من العدل والحرية والنية الحسنة. هذا هو ما علمتنيه غانا: إن قوى العدل تقف في صف الوجود، وإنك لن تتمكن في نهاية الأمر من سحق عباد الله، وجني الربح من وراء ذلك.

* * *

كنت أتأمل في حقيقة استغلال الإمبراطورية البريطانية للهند. فكر بذلك! أمة تعدادها 400 مليون نسمة قام البريطانيون باستغلالهم لدرجة أنه من أصل 400 مليون نسمة، 350 مليون نسمة كان دخلهم السنوي أقل من خمسين دولار في السنة؛ خمسة وعشرين دولارا منها كانت تصرف للضرائب ومستلزمات الحياة الأخرى. ثم تأملت أفريقيا السوداء، وكيف أن الناس هناك يعتقدون أنهم إن كانوا يجنون مئة دولار في السنة، فهم يعيشون بشكل جيد جدا. 2 شيلينغ في اليوم- شيلينغ واحد يعادل 14 سنتا، 2 شيلينغ يعادل 8 سنتات- هذا أجر جيد. وكل هذا بسبب هيمنة الإمبراطورية البريطانية.

* * *

وقفت هناك في دير ويستمنستر بكل جماله، وخطرت ببالي كل الترانيم والأناشيد التي يغنيها الناس هنا؛ وعلى الرغم من ذلك، لم تقف كنيسة إنجلترا ضد هذا النظام، بل صادقت عليه وأعطته مكانة أخلاقية. كل الاستغلال الذي قامت به الإمبراطورية البريطانية كان مجازا من قبل كنيسة إنجلترا. ولكن شيئا آخر خطر ببالي: إن الله ينصر الظالم حتى وإن لم تفعل الكنيسة ذلك. إن الله قد حبى الكون بقانون، وهو أنه على الإنسان أن يحترم كرامة وقيمة الإنسانية جمعاء، وأن الناس إن لم يفعلوا ذلك، فالحق غالبهم لا محالة. إنني أسمع هذا الصباح صوت الحق يصدح في أرجاء هذا الكون قائلا: «انصتوا واعلموا أنكم إن لم تتوقفوا، وإن لم تستقيموا، وإن لم تتوقفوا عن استغلال الناس، فإنني سأثور وأكسر ظهر قوتكم، وستُمحى قوتكم من الوجود».

* * *




ON'T GO

كل أنواع المؤامرات لا تزال تُحاك لمنع الزنوج من التسجيل للتصويت. إن حرمانهم من هذا الحق المقدس لهو خيانة مأساوية لأعظم ركائز تراثنا الديمقراطي. وبناء عليه نطالب رئيس الولايات المتحدة وكل أعضاء الكونغرس بأن يعطونا فورا حق التصويت.

* * *

أعطونا حق الاقتراع، وسنتوقف عن مطالبة الحكومة الفيدرالية بحقوقنا الأساسية. أعطونا حق الاقتراع، وسنتوقف عن التضرع للحكومة الفيدرالية لإقرار قانون ضد إعدام الزنوج دون محاكمة؛ سنقوم بقوة أصواتنا بكتابة القانون في تشريعات الجنوب، منهين بذلك أعمال العنف الوحشية لأصحاب القبعات. أعطونا حق الاقتراع، وسنقوم بتحويل الجرائم الصامتة للعصابات المتعطشة للدماء إلى أعمال خير منظمة لمواطنين صالحين.

* * *

أعطونا حق الاقتراع، وسنقوم بتعيين قضاة في محاكم الجنوب يحكمون بالعدل ويحبون الرحمة، وسوف نقوم بتعيين حكام على الولايات الجنوبية من الذين لم يشعروا فقط بقوة الإنسان، بل وبرحمة الله. أعطونا حق الاقتراع، وسنقوم، بهدوء وبدون عنف وبلا حقد ولا ضغينة، بتطبيق قرار المحكمة العليا في 17 مايو 1954.

* * *

على مفترق طرق تاريخ هذه الأمة، هناك حاجة ملحة لقادة مخلصين وشجعان. إذا أردنا أن نحل المشاكل التي ستواجهنا وأن نجعل العدالة العرقية حقيقة، فيجب أن تكون هذه القيادة على أربعة أصعدة. أولا، هناك حاجة إلى قيادة قوية وجريئة من الحكومة الفيدرالية. إلى الآن، تعتبر السلطة القضائية هي الوحيدة التي اضطلعت بمثل هذا النوع من القيادة. إن أولت السلطتين التنفيذية والتشريعية نفس الاهتمام بحماية حقوق المواطنين الذي أبدته المحاكم الفيدرالية لأصبح الانتقال من مجتمع مُميز عنصريا إلى مجتمع مندمج أسهل بكثير.

* * *

في ظل هذه الظروف السائدة، نأتي إلى واشنطن ملتمسين من الرئيس وأعضاء الكونغرس تبني قيادة قوية وشجاعة وأخلاقية لأوضاع لا يمكن التملص منها إلى الأبد. نأتي بتواضع لنقول للرجال المضطلعين بأعلى المسؤوليات في الحكومة أن الحقوق المدنية ليست موضوعا محليا عابرا أو زائلا أو من الممكن ركله هنا وهناك من قبل الرجعيين المدافعين عن الوضع الحالي، ولكنه موضوع أخلاقي خالد قادرعلى تقرير مصير أمتنا في خضم الصراع الأيديولوجي مع الشيوعية. لقد تأخر الوقت، وساعة المصير تدق. علينا أن نتحرك الآن، قبل أن يفوت الأوان. هناك حاجة ملحة اليوم لليبرالية حقيقية.

* * *

ما نشهده اليوم في الكثير من المجتمعات في الشمال هو نوع من شبه ليبرالية مبنية على أساس التعاطف مع جميع الجهات. إنها ليبرالية معنية بشدة بالنظر إلى جميع الجهات لدرجة أنها تفشل في دعم أي جهة. إنها ليبرالية متطرفة في التحليل والموضوعية لدرجة أنها غير ملتزمة بشكل فاعل. إنها ليبرالية لا ساخنة ولا باردة، ولكنها فاترة. نحن ننادي بليبرالية من الشمال تكون ملتزمة بشكل كامل بمبدأ العدالة العرقية، ولن نقبل الدعاية والكلمات الحاذقة لمن يقول: «بطئوا قليلا؛ أنتم قليلوا الصبر».

* * *

علينا أن نعمل بشغف وبلا هوادة في سبيل الحرية، ولكن علينا أن نبقي أيدينا نظيفة في هذا الصراع. علينا ألا نلجأ في هذا الصراع إلى الكذب أو الكره أو الحقد. لا يجب أن نشعر بالمرارة أبدا. أعلم كيف هو شعورنا أحيانا. من تم إجبارهم منا لمدة طويلة على الوقوف في وسط ليل الطغيان المظلم، ومن تم دوسهم منا وركلهم، معرضون لخطر الشعور بالمرارة. ولكن إن شعرنا بالمرارة واضطلعنا بحملات الكراهية، فإن النظام الجديد الذي سينبثق لن يكون سوى نسخة من النظام القديم.

* * *

علينا أن نقابل الكره بالحب. علينا أن نقابل العنف بقوة الروح. ثمة صوت لا يزال يتردد في أفق الزمن قائلا: «أحبب أعداءك، وبارك الذين يلعنونك، وصلّ للذين يستغلونك بحقد». فقط عندئذ ستستطيع أن تلتحق بجامعة الحياة الأبدية. وذات الصوت يردد بأبعاد كونية: «من يحيا بالسيف يموت بالسيف»، والتاريخ حافل بقصص الأمم بعظامها المبيضة الآن، والتي فشلت في تطبيق هذا المبدأ. علينا أن نتبع اللاعنف والحب. إني لا أتحدث عن الحب العاطفي السطحي. أنا لا أتحدث عن الشغف، وهو نوع من حب الجمال والرومانسية. إني لا أتحدث أيضا عن الحنان، وهو نوع من المشاعر المتبادلة بين الأصدقاء الحميمين. ولكني أتحدث عن الحب الأسمى. أتحدث عن حب الله الموجود في قلوب البشر. أتحدث عن ذلك النوع من الحب الذي يجعلك تحب الشخص الذي يفعل فعلا شريرا، ولكنك تكره فعلته في نفس الوقت. علينا أن نحب.

* * *

علينا ألا نسعى لاستخدام حرياتنا الجديدة وقوتنا المتنامية لنفعل بالأقلية البيضاء ما فعلته بنا قرونا طويلة.

* * *

يجب ألا يكون هدفنا هزم أو إذلال الإنسان الأبيض. علينا ألا نلعب دور الضحية بتبنينا فلسفة تقول بتفوق الإنسان الأسود. إن عدالة السماء تريد لجميع البشر أن يكونوا أحراراً، وليس فقط السود، أو ذوو البشرة البنية، أو البشرة الصفراء. علينا أن نعمل بتصميم لا على خلق مجتمع يستعلي فيه الإنسان الأسود على الناس، أو العكس، بل على خلق مجتمع يعيش فيه الناس كلهم كأخوة، مع احترام كرامة وقيمة الشخصية الإنسانية.

* * *

علينا ألا نقنع فقط بمجرد انتصارنا في المحكمة على إخواننا البيض، بل علينا أن نتعامل مع كل القرارات بحنكة المتفهم لخصمه، وتفهم الصعوبات التي سيواجهونها في تكيفهم مع قرارات المحكمة. علينا أن نتعامل بطريقة تسمح لنا جميعا -بيضا وسودا- بالاتحاد تحت مظلة انسجام المصالح والتفاهم. علينا أن نسعى إلى اندماج مبني على الاحترام المتبادل.

* * *

هناك شيء ما في هذا العالم يبرر قول وليم كلن براينت: «الحقيقة المسحوقة إلى الأرض ستنهض من جديد.»

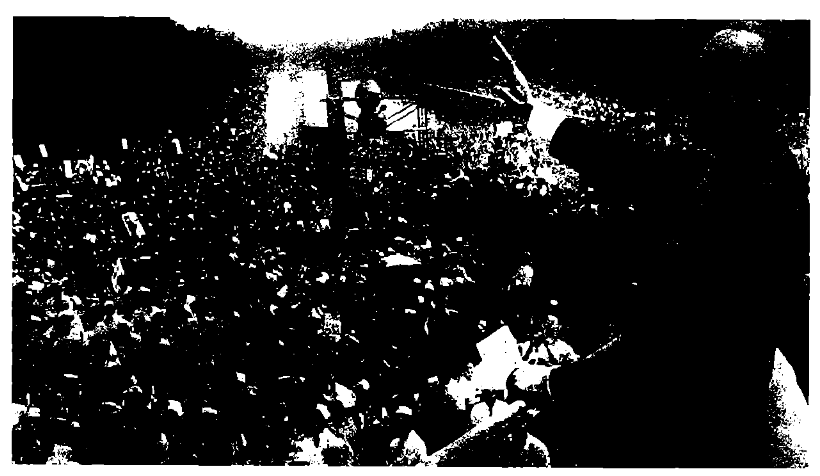
* * *

أحيانا يصعب الأمر، لكن الخروج من مصر هو أمر صعب دائما. فالبحر الأحمر سيقف دائما كعقبة ذات أبعاد محبطة. وحتى بعد عبورك البحر الأحمر، فسيكون عليك أن تعبر برية ذات تلال هائلة من الشر، وجبال عظيمة من المعارضة. ولكني أقول لكم هذا المساء: استمروا في التحرك. لا تسمحوا لأي شيء أن يبطئكم. تحركوا بكرامة وشرف واحترام.

* * *

أعلم أن ذلك قد يسبب أحيانا لياليَ مؤرقة، وقد يؤدي إلى فقدان العمل، وسيسبب المعاناة والتضحية، وقد يؤدي إلى موت البعض. ولكن إن كان الموت هو الثمن الذي يجب على البعض دفعه لتحرير أطفالهم من حياة مؤبدة محكومة بالموت النفسي، فلا عمل سيكون أكثر مسيحية من ذلك. استمروا اليوم. استمروا في التحرك في وجود كل عائق. استمروا في التحرك في وجود كل جبل من جبال المعارضة. إن فعلتم ذلك بشرف، فعند تدوين كتب التاريخ مستقبلا، سيكون على المؤرخين النظر والقول: «لقد عاش هناك أناس عظماء. أناس ذوو شعور كالصوف، سود البشرة، ولكنهم أناس حقنوا معنى جديدا في أوردة الحضارة؛ أناس وقفوا بكرامة وشرف وأنقذوا الحضارة الغربية في أحلك ساعاتها؛ أناس أعطوا كرامة جديدة وبعدا جديدا للحب لحضارتنا».





قبل مئة سنة، قام أميركي عظيم، والذي نقف في ظله المجازي اليوم، بتوقيع وثيقة تحريرالعبيد. وهذا المرسوم الأساسي جاء كمنارة عظيمة تضيء آمال ملايين الزنوج العبيد الذين احترقوا في لهيب الظلم. لقد جاء كنور الصباح السعيد لينهي ليل العبودية الطويل.

ولكن بعد مئة سنة، لا يزال الزنجي غير حر. بعد مئة سنة، لا تزال حياة الزنجي مقيدة بشكل محزن بأغلال الفصل العنصري وسلاسل التمييز العنصري. بعد مئة سنة، لا يزال الزنجي يعيش على جزيرة وحيدة من الفقر في وسط محيط شاسع من الرخاء المادي. بعد مئة سنة، لا يزال الزنجي يعيش مرهقا في زوايا المجتمع الأميركي، واجدا نفسه في منفى على أرض وطنه. لذا، أتينا اليوم هنا لنعرض لكم هذه الحالة المخزية.

* * *

نوعا ما، لقد أتينا إلى عاصمة دولتنا لنصرف شيكا. عندما قام معماريو جمهوريتنا بكتابة الكلمات العظيمة للدستور وإعلان الاستقلال الأمريكي، كانوا يحررون كمبيالة من حق كل أميركي أن يرثها. هذه الكمبيالة كانت وعدا لضمان كل الناس، السود والبيض على حد سواء، «حقوقهم الثابتة» في «الحياة، والحرية، والسعي وراء السعادة». ومن الواضح اليوم أن أميركا تأخرت في صرف هذه الكمبيالة، حينما يتعلق الأمر بمواطنيها السود. بدل احترام هذا الواجب المقدس، أعطت أميركا للزنجي شيكا غير صالح؛ شيكا لم يقبل وسجل كشيك من غير رصيد.

* * *

نحن نرفض أن نصدق أن بنك العدالة مفلس. نرفض أن نصدق أن الرصيد الموجود في مخازن الفرص في هذه الأمة غير كاف. ولذلك أتينا لنصرف هذا الشيك، والذي سيعطينا ثروات الحرية وأمان العدالة، كما نشاء.

* * *

لقد أتينا إلى هذه البقعة المقدسة لنذكر أميركا بالطبيعة الطارئة لهذه اللحظة الحاضرة. الآن ليس هو الوقت للتمتع بالتهدئة أو بأخذ عقاقير التدرج. الوقت الآن هو وقت إنجاز الديمقراطية الموعودة. الوقت الآن هو وقت الصعود من وادي الفصل العنصري المظلم والمقفر إلى طريق العدالة العرقية المضيء. الوقت الآن هو وقت رفع أمتنا من الرمال المتحركة للظلم العرقي إلى صخرة الأخوة الصلبة. الوقت الآن هو وقت جعل العدالة حقيقة ماثلة لكل عباد الله.

* * *

سيكون وبالا على هذه الأمة إن اختارت تجاهل الطبيعة الطارئة للحظة الحالية. إن الصيف القائظ لسخط الزنجي المبرر لن يمر إلا إذا وجد خريفاً من الحرية والمساواة. سنة ألف وتسعمئة وثلاث وستين لم تكن النهاية، بل البداية. والذين يأملون أن الزنجي احتاج فقط أن ينفس عن غضبه، وأنه سيصبح قانعا الآن، سيتعرضون للصدمة إن عادت الأمة إلى سابق عهدها. ولن تكون هناك راحة أو هدوء في أميركا إن لم يعط الزنجي حقوقه كمواطن. إن زوبعة التمرد ستستمر في زعزعة أسس أمتنا حتى يطلع صبح العدالة.

* * *

هناك شيء لا بد من قوله لأصحابي الذين يقفون اليوم على العتبة الدافئة التي تقودهم إلى قصر العدالة:

في أثناء سعينا للحصول على حقوقنا، علينا ألا نذنب بعمل ما هو غير مشروع. دعونا لا نروي عطشنا للحرية بالشرب من كأس المرارة والكره. علينا دائما أن نخوض صراعنا على مرتفع الكرامة والانضباط. علينا ألا نسمح باحتجاجاتنا المبدعة بالانحدار إلى حضيض العنف. مرة تلو الأخرى، علينا أن نصل إلى المرتفعات العظيمة التي نقابل فيها العنف بقوة الروح.

* * *

هناك من يطالب أنصار الحقوق المدنية، قائلا: «متى سترضون؟».
لن نرضى أبدا طالما ظل الزنجي ضحية أهوال يصعب وصفها ترتكب من قبل الشرطة. لن نرضى أبدا طالما ظلت أجسادنا المثقلة بتعب السفر لا تستطيع اللجوء إلى الفنادق الصغيرة على الطرق السريعة والفنادق في المدن. لن نرضى أبدا طالما ظل مجال حركة الزنجي هو من غيتو إلى غيتو أكبر. لن نرضى أبدا طالما ظل أبناؤنا يجردون من إحساسهم بقيمتهم كأفراد وتسرق منهم كرامتهم بلوحات تقول: «للبيض فقط.» لن نرضى أبدا طالما ظل زنجي في ميسيسيبي لا يستطيع أن يدلي بصوته، أو زنجي في نيويورك يعتقد أنه لا يوجد ما يصوت له. كلا، كلا، لسنا راضين ولن نرضى حتى «تندفع العدالة كالماء، ويتدفق الصلاح كنهر عظيم».

* * *

أحلم بأن يوما ما ستنهض هذه الأمة، وتحقق المعنى الصحيح لعقيدتها القائلة: «نؤمن بأن هذه الحقائق بديهية، حيث أن الناس كلهم خُلقوا سواسية».

* * *

أحلم بأن يوما ما؛ ولاية ميسيسيبي، الولاية التي تتصبب عرقا من حرارة الظلم، وتتصبب عرقا من حرارة الاضطهاد، ستتحول إلى واحة من الحرية والعدالة.

* * *

أحلم بأن يوما ما سيعيش أبنائي الأربعة بين أفراد أمة لا تحكم على الناس على أساس لونهم، ولكن على أساس شخصياتهم.

* * *

لدي حلم اليوم! وإن أرادت أميركا أن تصبح أمة عظيمة، فيجب أن يتحقق هذا:

دع الحرية تقرع من تلال نيوهامشير الهائلة.

دع الحرية تقرع من جبال نيويورك العظيمة.

دع الحرية تقرع من جبال الأليجيني في بنسلفانيا الهائلة.

دع الحرية تقرع من قمم جبال الروكيز في كولورادو المغطاة بالثلج.

دع الحرية تقرع من منحدرات نيويورك المتعرجة. وليس هذا كل شيء:

دع الحرية تقرع من جبل ستون في جورجيا.

دع الحرية تقرع من جبل لوكاوت في تينيسي.

دع الحرية تقرع من كل تلة وتل خلدي في ميسيسيبي.

من كل جبل، دع الحرية تقرع!

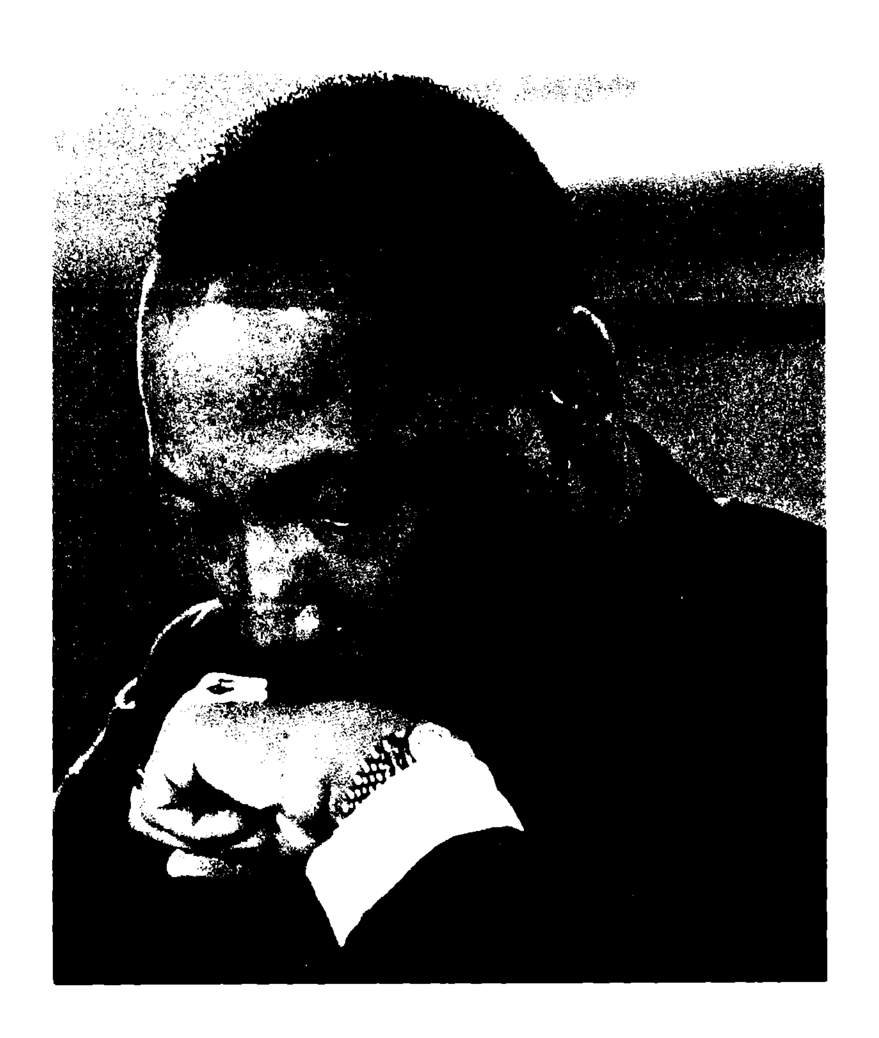
* * *

وعندما يحدث هذا، عندما ندع الحرية تقرع، عندما ندعها تقرع من كل قرية وكل كَفر، وكل ولاية، وكل مدينة، سيأتي سريعا ذلك اليوم الذي يستطيع فيه كل عباد الله، السود والبيض واليهود والأمميين والبروتستانت والكاثوليك إمساك أيدي بعضهم بعضا، وترديد الأغنية الزنجية القديمة:

أحرار أخيرا! أحرار أخيرا!

شكرا لله! نحن أخيرا أحرار!

* * *



عندما أقف أمامكم اليوم، وأفكر بتلك المسيرة العظيمة، أستطيع أن أقول، كما قالت الأخت بولارد، وهي سيدة زنجية تبلغ من العمر سبعين عاما وكانت تعيش في هذه المدينة في فترة مقاطعة الزنوج لركوب الباصات، وفي يوم سئلت أثناء مشيتها ما إذا كانت تريد الركوب، وعندما أجابت بـ «لا»، سُئلت: «ألست مرهقة؟»، وبعمق ممزوج بجملة غير صحيحة نحويا قالت: «إن قدميَّ تعبتان، ولكن روحي مرتاحة». وبشكل حقيقي نستطيع القول في هذا المساء أن أقدامنا تعبة، ولكن أرواحنا مرتاحة.

* * *

لم يبدأ ضمير أميركا بالنزف حقيقة إلى أن تم تحدي عملاق الفصل العرقي في بيرمينجهام. تحركت مشاعر أميركا البيضاء في بيرمينجهام لأنها شهدت مجتمع الزنوج برمته يواجه الرعب والوحشية بسخرية عظيمة وشجاعة بطولية. ومن آبار هذه الروح الديمقراطية، رضخت الأمة أخيرا الوضع تشريعات يؤمل منها استئصال وصمة بيرمينجهام. إن قانون الحقوق المدنية لعام 1964 أعطى الزنوج جزءا من كرامتهم المُستحقة، ولكن بدون امتلاك حق التصويت، كانت كرامة بلا قوة.

* * *

مرة أخرى، تم إخراج خنجر المقاومة اللاعنفية من غمدها، ومرة أخرى تم حشد مجتمع كامل لمواجهة الظلم، ومرة أخرى تصرخ وحشية النظام القديم وهي تموت في هذه الأراضي. ولكن سيلما، ألاباما، أصبحت لحظة مضيئة في ضمير الإنسانية. إن كان أسوأ ما في الحياة الأميركية كامنا في شوارعها المظلمة، فإن أفضل ما في القيم الأميركية ظهر بشغف في أنحاء البلاد ليتغلب عليه. لم تكن هناك لحظة في التاريخ الأميركي أكثر نبلا وأكثر إلهاما من حج رجال الدين والعامة من جميع الأعراق والديانات إلى سيلما لمواجهة الخطر بجانب الزنوج الذين كانت تتم محاربتهم.

* * *

وهكذا فإن ممارسة الزنوج والبيض على حد سواء لحرية التصويت تسببت في إرساء مجتمع منعزل؛ فقد عزلوا أموال الجنوب عن الفقراء البيض، وعزلوا قيم الجنوب عن الأغنياء البيض، وعزلوا كنائس الجنوب عن المسيحية، وعزلوا عقول الجنوبيين عن التفكير النزيه، وعزلوا الزنجي عن كل شيء. هذا ما حدث عندما هدد الزنوج وبيض الجنوب بالاتحاد وبناء مجتمع عظيم: مجتمع مبني على العدالة حيث لا يتمنى أحد لأحد ضعفا؛ مجتمع وافر الثروة لا مكان فيه للطمع والفقر؛ مجتمع متآخ يحترم كل إنسان فيه كرامة وقيمة الشخصية الإنسانية.

* * *

دعونا إذا نكمل مسيرتنا نحو تحقيق الحلم الأميركي. دعونا نتجه بمسيرتنا إلى المساكن المنفصلة حتى يذوب كل غيتو وكل كساد اقتصادي، ويتمكن الزنوج والبيض من العيش جنبا إلى جنب في مساكن لائقة، آمنة، وصحية. دعونا نتجه بمسيرتنا إلى المدارس المنفصلة حتى تصبح كل لمحة من التعليم المنفصل والرديء جزءا من الماضي، ويقوم الزنوج والبيض بالدراسة جنبا إلى جنب في الإطار الاجتماعي الشافي لبيئة فصول المدرسة.

* * *

دعونا نقاوم الفقر بمسيرتنا حتى لا يضطر أي أب أميركي ألا يأكل وجبته حتى لا يجوع أبناؤه. دعونا نقاوم الفقر بمسيرتنا حتى لا يمشي جائع في شوارعنا ومدننا وقرانا باحثا عن عمل غير موجود. دعونا نقاوم الفقر بمسيرتنا حتى تُملأ البطون المُتجعدة في ميسيسيبي، وحتى يُعاد إحياء الصناعات المُعطلة في الأبالاشيا، وحتى تُصلح وتُوجه الحياة المتحطمة للناس في الغيتوات المتعرقة.

* * *

دعونا نتجه بمسيرتنا نحو صناديق الاقتراع، حتى نرسل لمجالس مدننا، ومشرعي الولايات، والكونجرس الأميركي رجالا لا يخافون عمل الصواب، ويحبون الرحمة، ويمشون في طريق الله.

* * *

دعونا نتجه بمسيرتنا نحو صناديق الاقتراع حتى تصبح الأخوة أكثر من كلمة خاوية المعنى تذكر في افتتاحية الدعاء، بل تكون ما هو معتاد عليه في كل أجندة تشريعية.

* * *

دعونا نتجه بمسيرتنا نحو صناديق الاقتراع حتى يستطيع كل أطفال ألاباما المشي على هذه الأرض بعزة وكرامة.

* * *

إن المعركة في أيدينا، فنحن نستطيع أن نستجيب للنداء الذي تدعونا إليه التوجهات الجديدة في صراعنا باللاعنف المُبدع. الطريق الذي أمامنا ليس سالكا تماما؛ لا توجد طرق سريعة عريضة ستقودنا بسهولة وبلا مناص إلى حلول سريعة، ولكن علينا أن نُكمل المسير.

* * *

الحالة الطبيعية الوحيدة التي سنقبل بها هي التي تقر بكرامة وقيمة كل الناس. الحالة الطبيعية الوحيدة التي سنقبل بها هي التي تسمح للعدالة أن تسري كالماء، والفضيلة كنهر عظيم. الحالة الطبيعية الوحيدة التي سنقبل بها هي الأخوة، والسلام الحقيقي، والعدالة.

* * *

ونحن نغادر في هذا المساء، دعونا نمضي ونحن ملتزمون أكثر من أي وقت مضى بهذا النضال، وملتزمون باللاعنف. علي أن أقر أننا سنواجه أياما صعبة. إننا لا نزال في مرحلة المعاناة في العديد من محافظات الحزام الأسود في ألاباما، وفي العديد من مناطق الميسيسيبي، وفي العديد من مناطق لويزيانا. علي أن أقر أنه لا تزال هناك زنازن بانتظارنا، ولحظات مظلمة وصعبة. ولكننا إن ظللنا مؤمنين أن بإمكان قوة اللاعنف أن تحول أكثر الأيام ظلمة إلى غد مشرق، سيكون في استطاعتنا تغيير كل هذه الظروف.

* * *

أدعوكم في هذا المساء أن تلتزموا باللاعنف أثناء مضينا. يجب ألا يكون هدفنا أبدا إهانة الرجل الأبيض، ولكن كسب صداقته وتفهمه. علينا أن نيقن أن الهدف الذي نسعى إليه هو مجتمع متصالح مع نفسه؛ مجتمع قادر على العيش مع ضميره. وسيكون ذلك ليس يوم الإنسان الأبيض، ولا يوم الإنسان الأسود، بل سيكون يوم الإنسان كإنسان.

* * *

أعلم أنكم اليوم تتساءلون، «كم سيستغرق هذا؟»؛ يتساءل أحدكم، «إلى متى سيُعمي التعصب أبصار الناس، ويُظلم فهمهم، ويزيح العدالة مشرقة العينين عن عرشها المقدس؟». يتساءل أحدكم، «متى سيتاح للعدالة المجروحة، الساجدة في شوارع سيلما وبيرمينجهام وغيرها من المجتمعات في الجنوب، أن تُرفع من غبار الخزي لتحكم بعظمتها بين أبناء البشر؟». يتساءل أحدكم، «إلى متى سيُختطف نجم الأمل اللامع فيختفي في صدر هذه الليل الموحش، منزوعا من أرواح مرهقة بأغلال الخوف، وقيود الموت؟ إلى متى ستُصلب العدالة، وتحتمل الحقيقة ذلك؟».

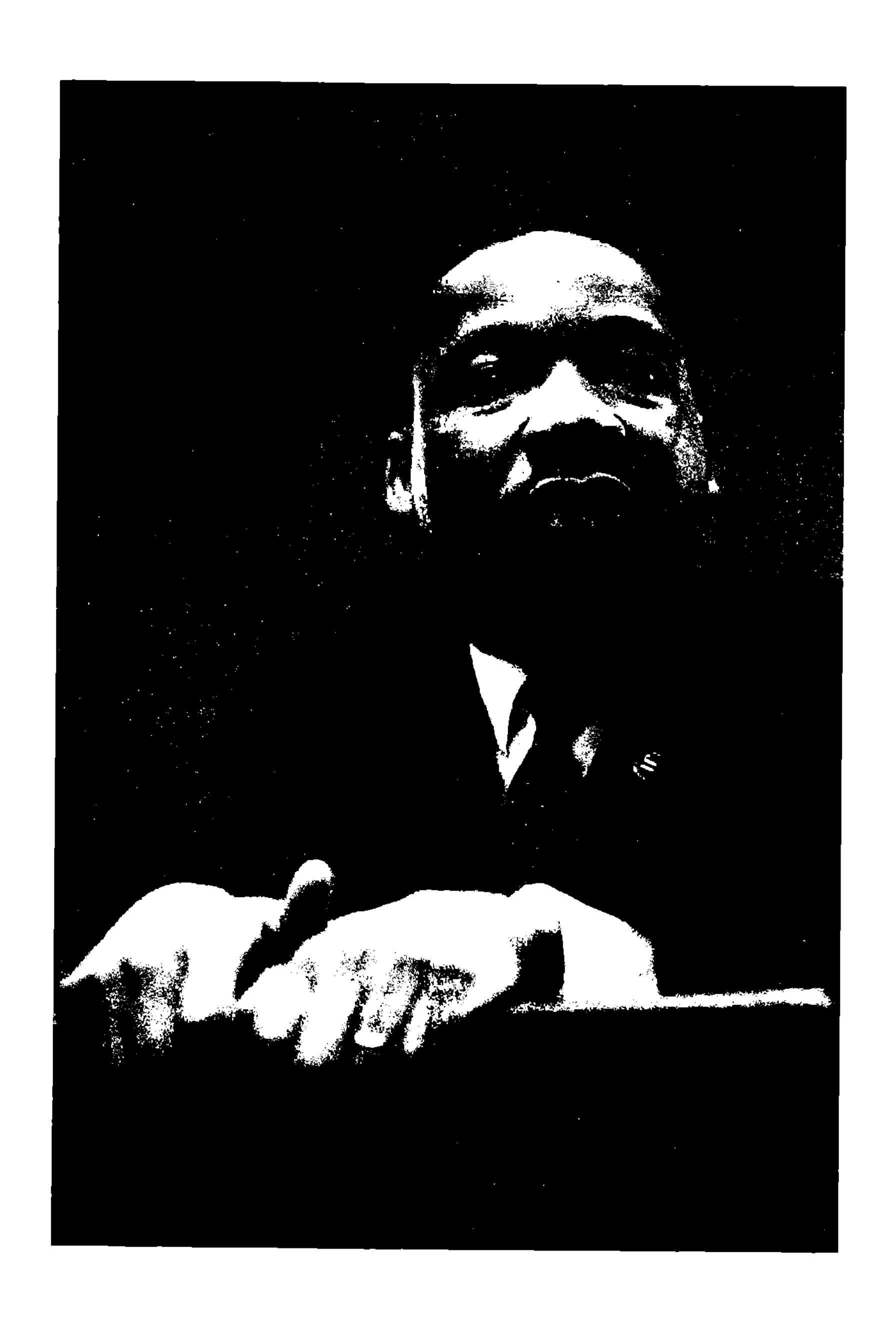
* * *

إن قوس العالم الأخلاقي طويل، ولكنه ينحني باتجاه العدالة.

* * *

مهما كانت اللحظة صعبة، ومهما كانت الساعة مُحبطة، فلن تستمر طويلا، لأن «الحقيقة المسحوقة إلى الأرض، ستنهض من جديد». كم من الوقت؟ ليس كثيرا لأنه «لا يوجد كذبة تعيش إلى الأبد». كم من الوقت؟ ليس كثيرا، لأنك «تحصد ما تزرع».

* * *



فقط عندما تشتد الظلمة، تستطيع رؤية النجوم.

* * *

شيء ما يحدث الآن في عالمنا؛ جماعات الناس بدأت بالنهوض، وأينما كانوا مجتمعين اليوم، سواء في جوهانسبرغ، جنوب أفريقيا، أو في نيروبي، كينيا، أو في أكرا، غانا، أو في مدينة نيويورك، أو أتلانتا، جيورجيا، أو جاكسون، ميسيسيبي، أو ميمفيس، تينيسي، فإن الصيحة واحدة: «نريد أن نكون أحرارا».

* * *

لم يعد الخيار اليوم بين العنف أو اللاعنف، بل بين اللاعنف أو الهلاك.

* * *

على صعيد حقوق الإنسان، إن لم يتم عمل شيء عاجل لإخراج المُلونين في العالم من سنين فقرهم الطويلة، وسنين ألمهم وتجاهلهم، فإن العالم كله آيل للهلاك.

* * *

لسنا منخرطين في أي احتجاج سلبي، ولا في أي جدل سلبي مع أي أحد. ما نطمح إليه هو أن نكون رجالا. نحن مصرّون على أن نكون شعبا؛ أن نكون عبادا لله. وبما أننا عباد لله، فلا يتحتم علينا أن نعيش كما لو كنا مُجبرين على العيش.

* * *

كلما أراد فرعون أن يطيل عهد العبودية في مصر، كانت لديه خطة مفضلة، وماذا كانت؟ كان يترك العبيد منخرطين في التعارك مع بعضهم البعض. ولكن عندما توحد العبيد، حدث شيء ما في بلاط الفرعون، فلم يستطع إبقاء العبيد عبيدا. عندما يتوحد العبيد، فهذه بداية خروجهم من العبودية. فلنحافظ على وحدتنا.

* * *

لن ندع العصي توقفنا. من خلال حركتنا اللاعنفية، أصبحنا متمرسين في جعل الشرطة تتخلى عن أسلحتها، فهم لا يعلمون ماذا يجب أن يفعلوا، وقد رأيتهم هكذا مرارا. أتذكر في بيرمنجهام، ألاباما، عندما كنا في نضالنا العظيم، كنا نخرج من الكنيسة المعمدانية في الشارع السادس عشر يوما بعد يوم، وكنا نخرج بالمئات، وكان بل كونر يأمرهم بأن يرسلوا لنا الكلاب، وقد أرسلوهم فعلا، ولكننا وقفنا أماما الكلاب نغني: «لن يثنيني اليوم أحد».

* * *

لو كنت أعيش في الصين، أو حتى روسيا، أو في أي دولة دكتاتورية أخرى، ربما كنت سأفهم بعضا من هذه الأوامر غير القانونية. ربما كنت سأفهم رفض امتيازات أساسية منحها التعديل الأول، لأنهم لم يُلزموا أنفسهم بذلك هناك. ولكنني قرأت في مكان ما عن حرية التجمع. ولكنني قرأت في مكان ما عن حرية التعبير. ولكنني قرأت في مكان ما عن حرية الصحافة. ولكنني قرأت في مكان ما أن عظمة أميركا تكمن في حق الاحتجاج في سبيل الحق. لذلك أقول، لن ندع الكلاب أو خراطيم المياه تثنينا، ولن ندع أية أوامر ترجعنا. نحن ماضون.

* * *

لا يتوجب علينا أن نتجادل مع أي أحد. لا يتوجب علينا أن نلعن وأن نوزع السباب. لا نحتاج إلى الطوب والزجاجات. لا نحتاج إلى قنابل المولوتوف. إننا فقط بحاجة للذهاب إلى المتاجر، وإلى هذه المصانع الضخمة في بلدنا، والقول: «مهمتنا هي إخباركم أنكم لا تعاملون عباد الله بطريقة سليمة، وقد جئنا اليوم مطالبين أن تجعلوا المعاملة العادلة على أول سلم أولوياتكم. إن لم تكونوا مستعدين لذلك، فإننا نملك أجندة وسنتبعها، وهي سحب دعمنا المالي منكم.

* * *

نحن (السود) نمتلك دخلا سنويا يقدر بأكثر من 30 بليون دولارا في السنة، بما يفوق كل صادرات الولايات المتحدة، وأكثر من ميزانية كندا. هل كنت تعلمون ذلك؟ هذا هو مكمن قوتنا، إن تعلمنا كيف نركزها.

* * *

دعونا نتبنى نوعا خطرا من الإيثار.

* * *

نطلب منكم اليوم أن تخرجوا وتطلبوا من جيرانكم ألا يشتروا كوكا كولا في ميمفيس. اذهبوا وأخبروهم ألا يشتروا حليب سيلتست. اطلبوا منهم ألا يشتروا -ما اسم ذلك الخبز؟ -وندر بريد. وما اسم شركة الخبز الأخرى تلك، جيسي؟ أخبروهم ألا يشتروا خبز هارت. وكما قال جيسي جاكسون، إلى الآن، عمال النظافة هم فقط الذين كانوا يشعرون بالألم، وعلينا الآن أن نعيد توزيع الألم. لقد اخترنا هذه الشركات لأنهم لم يكونوا عادلين في سياسة التعيين، وقد اخترناهم أيضا حتى يبدأوا بعملية دعم احتياجات وحقوق هؤلاء الرجال الذين يشاركون في الإضراب، ثم يذهبوا إلى المدينة ويخبروا العمدة لويب لعمل ما هو صائب.

* * *

ليس السؤال المطروح أمامكم هذه الليلة هو «اذا توقفت لأساعد عمال النظافة، ماذا سيحدث لعملي؟»، وليس هو «إن توقفت لأساعد عمال النظافة ماذا سيحدث لكل تلك الساعات التي أقضيها عادة في مكتبي كل يوم وكل أسبوع كقسيس؟»، وليس السؤال «إن توقفت لأساعد هذا الرجل المحتاج، ماذا سيحصل لي؟»، ولكن السؤال هو «إن لم أتوقف لمساعدة عمال النظافة، ماذا سيحدث لهم؟» هذا هو السؤال.

* * *

فلننهض اليوم باستعداد أكبر. فلنقف بتصميم أكبر، ولنتقدم في هذه الأيام الفاصلة، هذه الأيام التي تتحدى أميركا لتصبح ما يجب أن تكون عليه. لدينا فرصة لجعل أميركا أمة أفضل، وأريد أن أشكر الله، مرة أخرى، أن جعلني بينكم اليوم.

* * *

كنت في نيويورك قبل بضع سنوات أوقع أول كتاب لي، وبينما أنا جالس أوقع، جاءت امرأة سوداء مجنونة، وسألتني سؤالا وحيدا: «هل أنت مارتن لوثر كنغ؟»، وحينها كنت مطأطئا رأسي لأكتب، فقلت نعم، وفي الحال شعرت بشيء ينبض في صدري. قبل أن أعي ما حدث كنت قد طُعنت من قبل تلك المرأة المجنونة. هُرع بي إلى مستشفى هارلم. كان عصرا مظلما من يوم السبت. كان نصل السكين قد نفذ، وقد أظهرت الأشعة أن طرف النصل كان على حافة الشريان الأورطي، وهو الشريان الرئيسي، والذي إن تم ثقبه، فإنك تغرق في دمك، وتكون تلك نهايتك.

* * *

كنت قد استلمت رسالة من حاكم نيويورك، ولكني نسيت فحوى الرسالة. ولكن، كانت هناك رسالة أخرى من فتاة صغيرة من مدرسة وايت بلينز الثانوية. قرأت الرسالة، ولن أنساها أبدا، كانت تقول:

عزيزي الدكتور كنغ:

أنا طالبة في الصف التاسع في مدرسة وايت بلينز الثانوية. ربما هذا لا يهم، ولكني أريد القول أني فتاة بيضاء. قرأت في الصحف عن معاناتك والحادثة المؤسفة التي حصلت لك. وقرأت أيضا أنك لو عطست كنت ستموت. كتبت لك لأخبرك أنني سعيدة جدا لأنك لم تعطس.

* * *

ما أريد قوله الليلة هو أنني سعيد جدا أنني لم أعطس، لأنني لو كنت قد عطست لما شهدت سنة 1960، عندما بدأ كل الطلبة في الجنوب بالجلوس في صالات الغداء. وكنت أعلم أن جلوسهم هناك كان دفاعا عن أفضل ما في الحلم الأمريكي، مرجعين أمتنا إلى آبار الديمقراطية العظيمة، والتي تم حفرها حفرا عميقا من قبل آبائنا المؤسسين في إعلان الاستقلال، والدستور.



لو كنت قد عطست، لما كنت بينكم في 1961، عندما قررنا الركوب في رحلة الحرية، والغاء الفصل العنصري في الرحلات التي تسير عبر الولايات.

لو كنت قد عطست، لما كنت بينكم في 1962، عندما قرر الزنوج في آلباني، جيورجيا، أن يفردوا ظهورهم. وأينما قرر الرجال والنساء أن يفردوا ظهورهم، فسيفلحون، لأنه لا أحد يستطيع ركوب ظهرك إلا إذا كان منحنيا.

لو كنت قد عطست، لما كنت بينكم في 1963، عندما خاطب سود بيرمينجهام، ألاباما، ضمير الأمة، وأنجزوا قانون الحقوق المدنية.

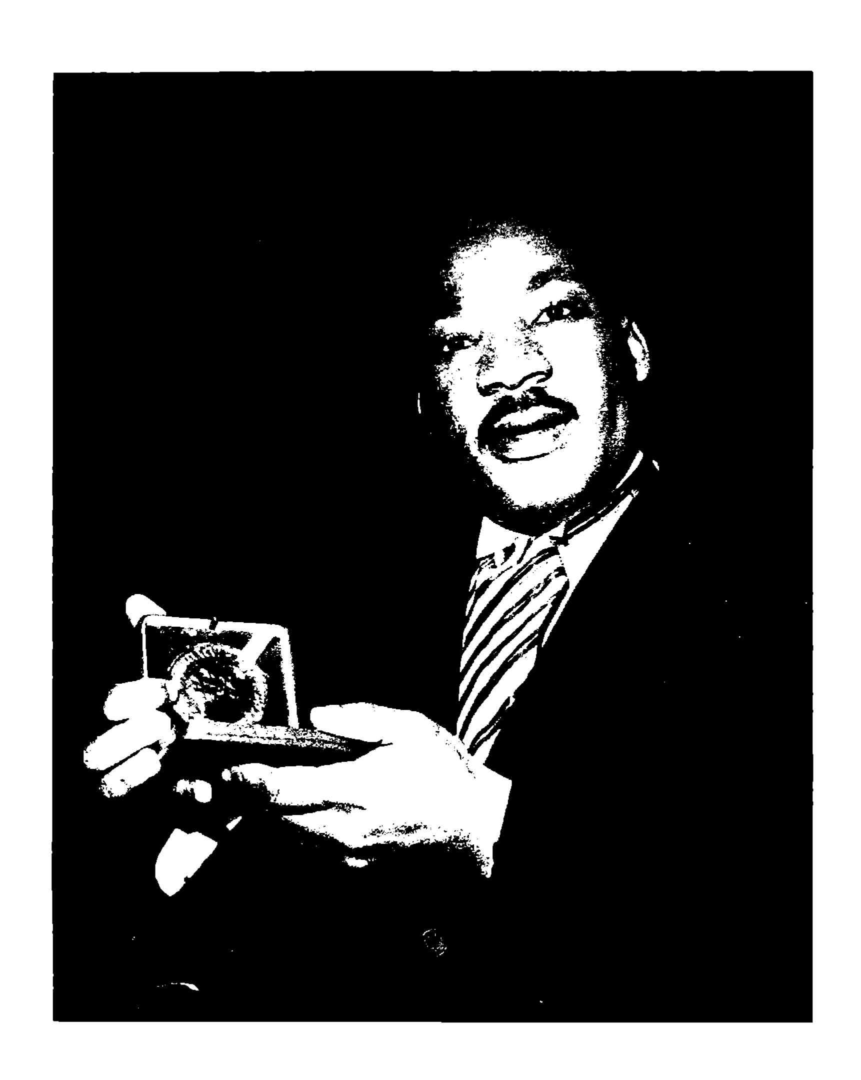
لو كنت قد عطست، لما توفرت لي الفرصة في أغسطس من نفس تلك السنة لأخبر أميركا عن حلمي.

لو كنت قد عطست، لما كنت بينكم في سيلما، ألاباما، لأشهد التحركات هناك.

لو كنت قد عطست، لما رأيت في ميمفيس مجتمعا متحدا يخفف من آلام الأخوة والأخوات الذين كانوا في معاناة.

إنني سعيد جدا أنني لم أعطس.

* * *



المشكلة لا تكمن في أننا لا نملك من العلم الكفاية، ولكننا لسنا خيرين بما فيه الكفاية. لا تكمن المشكلة في تراجع عبقريتنا العلمية، ولكن في تراجع عبقريتنا الأخلاقية. إن أعظم مشكلة تواجه الإنسان الحديث هي أن الوسائل التي يعيش من خلالها قد تعدت الأهداف الروحية التي يعيش من أجلها.

❊ ❊ ❊

إن المشكلة تكمن في الإنسان نفسه، وفي روحه. لم نتعلم كيف نكون عادلين ونزيهين وعطوفين وصادقين ومحبين، وهذا أصل مشكلتنا.

❊ ❊ ❊

إن المشكلة الحقيقية هي أننا عبر عبقريتنا العلمية استطعنا تحويل العالم إلى قرية صغيرة، ولكننا عبر عبقريتنا الأخلاقية والروحية فشلنا في نشر الأخوة فيه.

❊ ❊ ❊

إن القنبلة النووية ليست هي بالضرورة الخطر الحقيقي الذي نواجهه اليوم، والتي صنعها العلم المادي؛ ليس الخطر هو أنك تستطيع وضع القنبلة النووية في طائرة وإلقائها على رؤوس مئات الآلاف من البشر، على الرغم من خطورة ذلك. ولكن الخطر الحقيقي الذي تواجهه الحضارة اليوم هي القنبلة النووية التي تقبع في قلوب وأرواح الناس، والقادرة على تفجير أقبح أنواع الكراهية وأكثر أنواع الأنانية إضرارا: هذه هي القنبلة النووية التي علينا أن نخافها اليوم.

* * *

أصدقائي، كل ما أريد قوله هو أنه إن أردنا المضي قدما اليوم، فعلينا أن نعود لإعادة اكتشاف بعض القيم العظيمة التي تركناها وراءنا، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي ستمكننا من جعل العالم مكانا أفضل، وتنفيذ إرادة الله فيه، والهدف والمعنى الحقيقي من ورائه.

* * *

أحيانا علينا أن نعود أدراجنا لنتمكن من المضي قدما، وهذا يشبه ما يحدث في الحياة. أتذكر أنني في يوم ما كنت أقود سيارتي من نيويورك إلى بوسطن، وتوقفت في بريدجبورت، كنيتيكيت، لزيارة بعض الأصدقاء، وخرجت من نيويورك متخذا طريقا سريعا اسمه ميريت باركواي، باتجاه بوسطن، وهو طريق رائع. توقفت في بريدجبورت، وبعد مكوثي هناك ساعتين أو ثلاث، قررت العودة إلى بوسطن، فبحثت عن طريق ميريت باركواي، وأكملت طريقي ظانا أنني أقود باتجاه ميريت باركواي. هممت بالمضي وأكملت طريقي، ثم لاحظت وجود لوحة تشير إلى اتجاه مدينة صغيرة على بعد ميلين، وكنت أعلم أنها لا تقع في طريقي، كنت أعلم أنه ليس من المفروض أن أسير من خلالها، فعلمت أنني أسير في الطريق الخطأ. توقفت وسألت رجلا في الطريق عن الاتجاه الصحيح للوصول إلى ميريت باركواي، فقال: «ميريت باركواي في الاتجاه المعاكس ويبعد 12 أو 15 ميلا. عليك أن تعود أدراجك الطريق كله لتصل إلى ميريت باركواي. أنت تسير في الاتجاه الخاطئ». وبمعنى آخر، قبل أن أستطيع الوصول إلى بوسطن، كان علي أن أعود أدراجي 12 أو 15 ميلا إلى ميريت باركواي. أليس من المحتمل أن الإنسان الحديث يسير في الطريق الخاطئ؟ وأنه إن كان ينوي المضي إلى طريق الخلاص، فعليه أن يعود أدراجه ويسلك الطريق الصحيح.



إن أول قيمة علينا إعادة استكشافها هي أن الحقيقة مؤسسة على قاعدة أخلاقية. بعبارة أخرى، هذا الكون كون أخلاقي، وهناك قوانين أخلاقية ملزمة في الكون، تماما مثل القوانين الطبيعية. ولكني لست متأكدا أننا كلنا نؤمن بذلك. نحن لا نشك أبدا أن هناك قوانين طبيعية في الكون يجب إطاعتها. نحن لا نشك في ذلك أبدا. نحن لا نقفز من الطائرات أو من مبان عالية للاستمتاع، نحن لا نفعل ذلك؛ لأننا نعلم فطريا أن هناك قوانين نهائية للجاذبية، وإن لم نتبعها فستتحمل النتائج، نحن نعلم ذلك.

* * *

لست متأكدا أننا فعلا نؤمن أن هناك قانونا للحب في هذا الكون، وأننا إذا لم نعمل به فإننا سنقاسي من العواقب.

* * *

لقد حدنا تماما عن القاعدة الناصة على أخلاقية هذا الكون.

* * *

أنا هنا هذا الصباح لأخبركم أن هناك ما هو صواب، وهناك ما هو خطأ، بشكل مطلق، ومنذ بدء الخليقة. الكره خطيئة، كان، دائما، ودوما سيكون كذلك. هو خطيئة في أميركا. هو خطيئة في ألمانيا. هو خطيئة في روسيا. هو خطيئة في الصين. كان خطيئة 2000 سنة قبل الميلاد، وهو خطيئة في 1954 بعد الميلاد. كان دائما خطيئة، وسيكون دائما خطيئة.

* * *

من الخطأ أن نهدر حياتنا بتبني العنف، ولا يهم إن كان كل من في ديترويت يقومون بذلك؛ إنه عمل خاطئ. سيكون دائما خاطئا، وكان دائما خاطئا. هو خاطئ في كل عصر وفي كل أمة. هناك ما هو صواب وهناك ما هو خطأ، حتى وإن كان الجميع يعملون عكس ذلك. بعض الأشياء في هذا الكون لها طبيعة مطلقة، وقد خلقه الله هكذا، وإن تبنينا نظرة نسبية لما هو حق وما هو باطل، فإننا كمن يثور ضد قوانين القوانين التي وضعها الخالق.

* * *

هذا إذا هو السلوك السائد اليوم؟ فلا بأس من عصيان الوصايا العشر، طالما لم تعص الوصية الحادية عشر وهي «احترس من أن تُكشف». هذا هو السلوك المعروف والطاغي اليوم. فلا يهم ما تفعل، طالما أنك تفعله بقليل من البراعة؛ سلوك يتسم نوعا ما بصفة البقاء للأكثر حذاقة. ليس البقاء للأصلح، بحسب نظرية داروين، ولكن البقاء للأكثر حذاقة، فالأكثر حذاقة هو الذي يكون على صواب. فلا بأس بالكذب، ولكن اكذب بشرف. لا بأس بالسرقة والابتزاز، ولكن افعل ذلك بمهارة. وحتى لا بأس بالكره، ولكن عليك أن تلبسه لباس الحب، وأن تظهر بمظهر المحب، عندما تكون في الحقيقة كارها. فقط تصرف! هذا هو ما تدعو إليه الأخلاق الجديدة. يا صديقي: إن هذا السلوك مدمر لروح ثقافتنا. إنه مدمر لأمتنا.

* * *

إن ما نحتاجه في العالم اليوم هو مجموعة من الرجال والنساء الذين سيقفون مع الحق، ويتصدون للباطل، أينما كان؛ جماعة من الناس الذين يرون الباطل باطلا، سواء ضُبطوا بالجرم أو لا، وأن الحق حق، سواء علم الناس بإتيانهم عملا صوابا أو لا.

* * *

لا يكفي أن تعرف تفاصيل علم الحيوان والأحياء، ولكن علينا أن نعرف تفاصيل القانون. لا يكفي أن نعرف أن اثنين زائد اثنين يساوي أربعة، ولكن علينا أن نعرف أن اختيارنا أن نكون صادقين وعادلين مع إخواننا هو الصواب. لا يكفي أن نعرف كل شيء عن علم الفلسفة والرياضيات، ولكن علينا أن نتعرف على العلوم البسيطة المتمثلة بالصدق والحب والعدالة مع كل البشر. إن لم نتعلم ذلك، فإننا ندمر أنفسنا باستخدامنا الخاطئ لقوتنا.

* * *

في هذا العالم ما يبرر نص الإنجيل القائل: «أنت تحرث ما تزرع». هذا الكون يعمل وفق قوانين. هذا الكون كون أخلاقي، مؤسس وفق قواعد معينة. إن أردنا أن نجعل هذا عالما أفضل، فعلينا أن نعيد اكتشاف تلك القيمة التي نسيناها.

* * *

إن أخطر أنواع الإلحاد ليس هو الإلحاد النظري، بل الإلحاد العملي: هذا هو أكثر الأنواع خطورة. والعالم، وحتى الكنيسة، مليئ ببشر ينافقون في إيمانهم، ولا يطبقونه في حياتهم. وسيكون من الخطر أن نظهر بمظهر المؤمن بالله، مع انعدام الإيمان الداخلي، فنقول بأفواهنا أننا نؤمن به، ولكننا نعيش حياتنا وكأنه لم يوجد قط، وهذا هو الخطر الذي سيظل يهدد الدين. هذا نوع خطر من الإلحاد.

* * *

عندما نمتلك الكثير من وسائل الراحة والكماليات وغيرها، فسنكون معرضين لخطر نسيان الله، بلا وعي منا. إني لا أقصد أن هذه الأشياء غير مهمة؛ إننا نحتاجها. إننا نحتاج السيارات. إننا نحتاج المال. كل ذلك مهم للعيش. ولكن عندما تحل محل الإيمان بالله، فإنها تصبح ضارة.

* * *

دعوني أخبركم هذا الصباح أن لا شيء من هذه تشكل تعويضا حقيقيا عن الله: السيارات، والمترو، والتلفزيون، والراديو، والدولارات والسنتات، كلها لا يمكن أن تشكل تعويضا عن الله، حيث أنه منذ وقت طويل، وقبل أن تظهر هذه الأشياء، كنا نحتاج الله، ولوقت طويل، بعد زوال هذه الأشياء، سنظل نحتاجه.

* * *

لن أضع إيماني المطلق في الماديات. لن أضع إيماني المطلق في الأجهزة والاختراعات. عندما كنت شابا، وكانت الحياة أمامي، قررت أن أهب حياتي لشيء خالد ومطلق، وليس لهذه الآلهة الصغيرة الموجودة اليوم، والراحلة غدا، ولكن لله الذي لا يتغير، في الأمس، واليوم، وإلى الأبد.

* * *

اذهبوا مطمئنين أن الله سيكون دائما موجودا. قد تأتي العواصف وترحل؛ ستأتي ناطحات سحابنا وتذهب؛ ستأتي سياراتنا الجميلة وتذهب، لكن الله سيظل موجودا. قد تذبل النباتات وتبهت الأزهار، ولكن كلمة الله ستظل إلى الأبد، ولا يمكن لشيء أن يوقفه أبدا. كل الـ P-38 في العالم لن تصل أبدا إلى الله. كل قنابلنا الذرية لن تصل أبدا إليه. إن الله الذي أتحدث عنه هذا الصباح هو إله الكون، والإله الذي سيظل إلى أبد الدهر. إن كنا سنتقدم بعد هذا الصباح، فعلينا أن نرجع ونجد الله. هذا هو الله الذي يطالبنا بالمبايعة الكبرى. إن كنا سنتقدم، فعلينا أن نعود ونعيد اكتشاف هذه القيمتين الثمينتين: وهي أن الحقيقة مؤسسة على قواعد أخلاقية، وأن الواقع يتأثر بالقيم الروحانية.

* * *





تمر المجتمعات الآن بظلمة منتصف الليل، فعلى الصعيد العالمي، نرى الأمم منهمكة في سباق مر ومهول بغرض السيطرة. لقد تم خوض حربين عالميتين خلال جيل واحد، وتبدو غيوم حرب أخرى نازلة بشكل خطير. يمتلك الإنسان الآن أسلحة ذرية ونووية باستطاعتها تدمير المدن الرئيسية في العالم بشكل كامل خلال ثوان. ولكن سباق التسلح مستمر، إلى جانب التجارب النووية التي تفجر في الهواء، معرضة الهواء الذي نتنفسه لخطر الغبار المشع. هل ستؤدي هذه الظروف والأسلحة إلى إبادة الجنس البشري؟



منتصف الليل هذا الذي عم الأمم بشكل واضح، يوازيه منتصف الليل الذي حل في الحياة الداخلية للأشخاص. لقد حل منتصف الليل في الجانب النفسي. ترى الناس في كل مكان تعذبهم المخاوف نهارا، وتلاحقهم ليلا، وترى غيوماً ثقيلة من القلق والكآبة معلقة في سماء عقولنا. اليوم عدد المضطربين عاطفيا يفوق ما كان موجودا في أي وقت من تاريخ البشرية. أجنحة الأمراض النفسية في مستشفياتنا مزدحمة، وأكثر علماء النفس شعبية اليوم هم المحللين النفسيين. أفضل الكتب مبيعا في علم النفس هي: الإنسان ضد نفسه، الشخصية العصابية لزماننا، والانسان الحديث باحثا عن الروح. وأفضل الكتب مبيعا في الأديان هي كتب مثل: راحة البال، وراحة الروح. كما أن أكثر رجال الدين شعبية هم الذين يقدمون مواعظ مثل «كيف تكون سعيدا» و«كيف تسترخي». حتى إن بعضهم يكاد يعيد صياغة أوامر المسيح إلى: «انطلقوا في الحياة، وحافظوا على ضغطكم منخفضا، ثم انظروا، سأرزقكم بشخصية متوازنة». كل هذا يدل على حلول منتصف الليل في الحياة الداخلية للرجال والنساء.



لقد حل منتصف الليل أيضا في الجانب الأخلاقي. في منتصف الليل تخسر الألوان تميزها وتتحول جميعها إلى لون رمادي كئيب. لقد فقدت المبادئ الأخلاقية تميزها. بالنسبة للإنسان المعاصر، يُعتبر الحق والباطل نسبيا بحسب ما تفعله الأغلبية. الحق والباطل أصبح نسبيا بحسب ما تفضله أو تنبذه عادات مجتمع معين. بلا وعي منا، قمنا بتطبيق نظرية أينشتاين النسبية، والتي تصف العالم المادي، على العالم الأخلاقي.

* * *

منتصف الليل هي الساعة التي يسعى فيها البشر للامتثال للوصية الحادية عشرة: «عليكم ألا تُكشفوا». طبقا لفلسفة منتصف الليل الأخلاقية، فإن أعظم كبيرة هي أن تُكشف، وأعظم حسنة هي أن تستغل الظروف لصالحك. فلا بأس من الكذب، ولكن عليك أن تفعل ذلك بلباقة حقيقية. ولا بأس أن تسرق، طالما ستحتفظ بكرامتك إن كُشفت، حيث ستسجل التهمة كاختلاس وليس سرقة. ومن الممكن حتى أن تكره، إن استطعت أن تُلبس هذه الكراهية بلباس الحب، حتى تظهر الكراهية كمحبة. لقد تم استبدال مبدأ داروين «البقاء للأصلح» بفلسفة البقاء للأكثر حذقا. لقد تسببت هذه العقلية بالانحلال المأساوي للمعايير الأخلاقية، ويستمر منتصف ليل الانحلال الأخلاقي في التعمق.

* * *

على الرغم من زيادة عدد مرتادي الكنيسة لا تعكس بالضرورة زيادة مماثلة في الالتزام الأخلاقي، إلا أن الملايين من الناس يشعرون أن الكنيسة تمنحهم جوابا للحيرة العميقة التي تلف حياتهم. لا تزال المَعلم الوحيد الذي يلجأ إليه المسافر في منتصف الليل. إنه البيت الوحيد القائم دائما في نفس المكان، والبيت الذي يستطيع المسافر في منتصف الليل أن يقرر الذهاب إليه أو رفض ذلك. بعض الناس يرفض المجيء، ولكن الكثير ممن يأتي ويقرع الباب هم ممن يبحثون عن شيء من الخبز (الروحي) ليسد القليل من جوعهم.

* * *

بسبب العديد من الإحباطات المهولة التي شهدها الجيل، فقد الكثيرون إيمانهم بالله، وبالإنسان، وبالمستقبل. يشعر العديد منهم، كما شعر ويليام ويلبيرفورس، حيث قال في 1801: «لا أجرؤ على الزواج، فإن المستقبل شديد الغموض»، أو كما قال ويليام بيت في 1806: «لا يوجد حولنا غير الدمار والقنوط». في خضم هذه الإحباطات العظيمة، يصيح الكثيرون للحصول على خبز الإيمان.

* * *

هنالك أيضا توق عظيم لخبز الأمل. في السنوات الأولى من هذا القرن، لم يجع الكثيرون لذلك الخبز، فقد أعطتهم أيام اختراع الهواتف الأولى والسيارات والطائرات تفاؤلا مشعا. لقد تعبدوا في معبد التقدم المحتوم، واعتقدوا أن كل اختراع علمي جديد سيرفع الإنسان إلى مستويات أعلى من الكمال. ولكن، بعد ذلك، وضحت سلسلة من التطورات المأساوية، التي بينت أنانية الإنسان وفساده، وبشكل مخيف الوضوح، صحة كلمات لورد أكتون: «القوة مُفسدة، والقوة المطلقة مُفسدة بشكل مطلق.» هذا الاكتشاف المروع أدى إلى أعظم تهاوٍ للأمل في التاريخ، فقد فقد الكثير من الناس الأمل، صغارا وكبارا، وهاموا على وجوههم تعبين في حجر التشاؤم المظلمة. خلص الكثيرون منهم إلى أن الحياة بلا معنى، وبعضهم وافق الفيلسوف شوبنهاور في قوله أن الحياة ألم مستمر بنهاية مؤلمة، وأن الحياة كوميديا مأساوية تُعيد نفسها مرة تلو الأخرى، مع تغيير بسيط في الملابس والمناظر.



هنالك توق عظيم لخبز الحب. الكل يتوق لأن يحب ويُحَب. من لا يشعر بأنه محبوب يشعر بأنه غير مهم. في العالم الحديث، تغيرت العديد من الأشياء التي جعلت الإنسان يشعر بأنه لا ينتمي لشيء، حيث نعيش في عالم لاشخصاني لدرجة القمع، ويشعر الكثير منا أننا مجرد أرقام. يصف رالف برسودي العالم بصورة لا تنسى، حيث حلت الأرقام محل البشر، فيقول أن الأم في العصر الحديث تسمى حالة رقم 8434، وطفلها يصبح رقم 8003، بعد أن تؤخذ بصمات أصابعه وأقدامه، وأن الجنازة في مدينة كبيرة تسمى حدثا في القاعة ب المزينة بورود المجموعة ب، حيث يقوم الواعظ رقم 14 بتأبين الميت، ويقوم الموسيقي رقم 84 بغناء الاختيار رقم 174. وهكذا يصاب الإنسان بالحيرة من جراء اعتباره بطاقة في قائمة محتويات كبيرة، ويبدأ بالبحث المستميت عن الحب.

* * *

علينا أن نؤمن اليوم أنه من الممكن إيجاد طريق من لاطريق.

* * *

عندما قام الملايين من الأفريقيين بقرع أبواب الكنيسة المسيحية بكل صبر، آملين في الحصول على خبز العدالة الاجتماعية، تم تجاهلهم أو حثهم على الانتظار لوقت لاحق، والذي نادرا ما يأتي. وعندما قام الملايين من الزنوج الأمريكان، وهم جوعى لخبز الحرية، بالقرع مرة وأخرى على ما يسمى بالكنائس البيضاء، تم الترحيب بهم ببرود لا مبال أو نفاق واضح. حتى القادة من رجال الدين البيض، والذين يملكون رغبة عميقة في فتح الباب ومنح الخبز، يكونون عادة حذرين أكثر من كونهم شجعانا، فيسلكون الطريق النفعي بدلا من الطريق الأخلاقي. إن أعظم التراجيديات المخزية في التاريخ هي أن المؤسسة المسؤولة عن تحرير الإنسان من منتصف ليل الفصل العنصري تقوم نفسها بالمشاركة في خلق ونشر منتصف الليل هذا.

* * *

هؤلاء الذين لجأوا إلى الكنيسة للحصول على خبز العدالة الاقتصادية تم تركهم في منتصف ليل الحرمان الاقتصادي المُحبط. في أحيان كثيرة، قامت الكنيسة بالتحالف مع الطبقات الثرية، مدافعة عن الوضع القائم، فامتنعت عن الاستجابة للقرع على الباب في منتصف الليل. قامت الكنيسة اليونانية في روسيا بالتحالف مع الوضع القائم، وأصبحت مرتبطة بشكل عميق بنظام حكم القيصر الديكتاتوري حتى أصبح من المستحيل التخلص من النظام السياسي والاجتماعي الفاسد بدون التخلص من الكنيسة، وهذا مصير كل نظام كنسي يتحالف مع الوضع القائم.

* * *

على الكنيسة أن تتذكر أنها ليست رئيسة للدولة ولا خادمة لها، بل إنها ضمير الدولة، فيجب أن تكون ناصحة وناقدة للدولة، وألا تكون أبدا أداة بيدها.

* * *

الإيمان بالفجر ينبع من الإيمان بأن الله هو الخير والعدالة. عندما يؤمن المرء بذلك، فسيعلم أن تناقضات الحياة ليست وضعا نهائيا، وبإمكانه أن يسير في الليل المظلم باقتناع منير أن الأمور ستكون دائما على ما يرام للذين يحبون الله.

* * *

من الممكن حتى لأحلك الليالي أن تأتي بفجر الرضا.

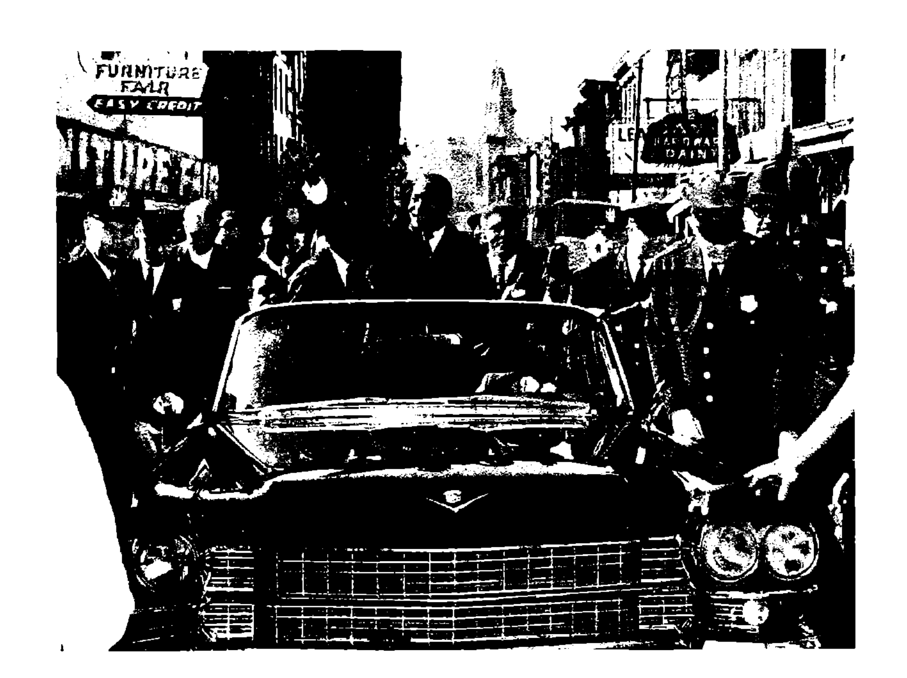
* * *

بأمل وتوتر، سأقرأ هذه الكلمات: «أصدرت محكمة الولايات المتحدة العليا قرارا بالإجماع بعدم مطابقة الفصل العنصري في الباصات للدستور في مونتغمري، ألاباما.» دق قلبي فرحا بغبطة لا توصف، فقد أصبحت أحلك ساعات نضالنا أول ساعات انتصارنا.

* * *

الفجر آت. الإحباط، والأسى، والقنوط كلها تولد في منتصف الليل، ولكن الصبح يليها.

* * *


FURNITURE
FAIR
EASY CREDIT

إن طول الحياة، كما سنعرفه هنا، هو الاهتمام الداخلي للشخص برفاهيته، وبعبارة أخرى، فهو الاهتمام الداخلي الذي يدفع الشخص لتحقيق أهدافه وطموحاته. عرض الحياة، كما سنعرفه هنا، هو الاهتمام الخارجي للفرد برفاهية الآخرين، وارتفاع الحياة هو تطلع المرء لله. يجب أن تحوز على هذه الأبعاد الثلاثة لتكون حياتك كاملة.

❋ ❋ ❋

دعونا نتحدث عن طول الحياة. لقد ذكرت أن هذا البعد في الحياة متعلق بتكوين قدراتنا الداخلية، وبعبارة أخرى، هذا هو الجانب الأناني للحياة. الاهتمام الصحي والعقلاني بمصالح المرء أمر مشروع. قبل عدة سنوات ألف جوشوا ليبمان، وهو حاخام يهودي، كتابا بعنوان: (السلام الذهني)، يضم فصلا بعنوان : «أحب نفسك بالطريقة الصحيحة»، ويؤكد في هذا الفصل أنه قبل أن تستطيع أن تحب أي شخص آخر بشكل كاف، فعليك أن تحب نفسك بالطريقة الصحيحة. قد تعلمون أن كثيرا من الناس لا يحبون أنفسهم، ويعيشون حياتهم في صراعات عاطفية لا تنتهي. لذا، فإن بُعد طول الحياة هو بُعد الحياة الذي يجب أن تحب نفسك فيه.



هل تعلم ما يعنيه أيضا أن تحب نفسك؟ إنه يعني أن عليك أن تقبل نفسك. كثير من الناس مشغولون بمحاولة تقليد الآخرين. إن الله أعطانا جميعا شيئا مميزا، وعلينا أن نصلي كل يوم، سائلين الله المعونة على قبول أنفسنا بكليتها. عدد كبير من الزنوج يشعرون بالخزي من أنفسهم، ومن كونهم سودا. على الزنجي أن يثور ويصرخ من أعماق روحه: «لي كيان، وتراثي غني ونبيل ومشرف. رغم تاريخي المؤلم وكل الاستغلال الذي تعرضت له، فإنني أسود، ولكنني أسود وجميل».

* * *

أتذكر عندما كنت في الجامعة، تخصصت في علم الاجتماع، وكان على كل طلبة علم الاجتماع أن يسجلوا في مادة الإحصاء. مادة الإحصاء قد تكون أحيانا معقدة، ويجب أن يكون مخك رياضيا، وأن تكون لديك معرفة ممتازة بالهندسة، وعليك أن تعرف كيفية إيجاد المتوسط الحسابي والوسيط والمنوال. لن أنسى أبدا عندما سجلت لهذه المادة مع زميل كان يستطيع حل المسائل بسهولة، وكان يستطيع أن ينجز واجبه في خلال ساعة تقريبا. كنا نذهب لمختبر الكمبيوتر أو لورشة العمل، وكان يستطيع حل المسائل في ساعة؛ كان ذلك كافيا له. كنت أحاول أن أفعل ما يفعله، فأنجز واجبي في ساعة، وكلما كنت أصر على ذلك كلما كانت درجاتي تسوء. وكان علي أن أصل إلى قناعة صعبة. كان علي أن أجلس وأقول: «مارتن لوثر كنغ: لدى ليف كين عقل أفضل منك». أحيانا عليك أن تعترف بذلك، وكان علي أن أقول لنفسي: «قد يستطيع هو حل المسائل في ساعة، ولكن بالنسبة لي، يستغرق ذلك ساعتين أو ثلاث». لم أكن مستعدا لتقبل نفسي. لم أكن أريد تقبل أدواتي وحدود قدرتي.

* * *

من السخف أن تحاول سيارة فورد أن تتحول إلى سيارة كاديلاك، ولكن إن تقبلت سيارة الفورد نفسها كفورد، فإنها تستطيع فعل الكثير من الأشياء التي لا تستطيع الكاديلاك أبدا أن تفعلها: إنها تستطيع أن تدخل إلى مواقف للسيارات التي لن تسع الكاديلاك أبدا. وفي الحياة أيضا: بعضنا سيارات فورد وبعضنا سيارات كاديلاك. يقول موسى في (المراعي الخضراء): «يا رب، أنا لست بالشيء الكثير، ولكني كل ما أملك». مبدأ تقبل النفس مبدأ أساسي في الحياة.

* * *

بعد أن ننجح في تقبل أنفسنا وأدواتنا، علينا أن نكتشف هدفنا، وبعد أن نكتشفه، علينا أن ننجزه بكل ما أوتينا من قوة وقدرة. وبعد أن نكتشف الهدف الرباني من خلقنا، وبعد أن نكتشف رسالة حياتنا، علينا أن ننجزها ببراعة منقطعة النظير، فلا يستطيع أحد من الأحياء أو الأموات أو غير المولودين أن يفوقنا. هذا لا يعني أن الكل سينجز من الأعمال ما يسمى عظيما، ومحتفى به. قلة من الناس سيصعد إلى علياء العبقرية في الفنون والعلوم؛ قليل من الناس سيرتقي في بعض المهن. على معظمنا تقبل العمل في الحقول والمصانع والشوارع. ولكن علينا أن ننظر بكرامة إلى كل أنواع العمل.

* * *

عندما كنت في مونتغمري، ألاباما، كنت كثيرا ما أذهب إلى متجر أحذية يسمى بمتجر جوردون للأحذية. كان هناك شاب اعتاد أن يلمع حذائي، وكانت مشاهدة هذا الشاب يلمع حذائي خبرة رائعة. كان يأتي بالخرقة، ويعزف بها ألحانا؛ قلت لنفسي: «هذا الفتى يملك دكتوراة في تلميع الأحذية».

* * *

أعزائي، ما أريد أن أقول لكم هذا الصباح هو أنه حتى وإن كان قدرك أن تكون كناس شوارع، اخرج واكنسها كما لو كنت مايكل انجلو وهو يرسم لوحاته؛ اكنس الشوارع مثلما كان هاندل وبيتهوفن يؤلفان الموسيقى؛ اكنس الشوارع مثلما كان شكسبير يكتب شعرا؛ اكنس الشوارع حتى يقف أهل السماء وأهل الأرض ليقولوا: «هنا عاش كناس عظيم وقد أدى عملا رائعا».

* * *

لا تبدأ حياة الإنسان الحقيقية إلا عندما يترفع عن القيود الضيقة لمصلحته الشخصية إلى الاهتمام بالمصلحة العامة للإنسانية.

* * *

سيحل يوم لا يكون السؤال فيه: «كم جائزة تحصلت عليها في حياتك؟» كلا، ليس في ذلك اليوم. لن يكون السؤال «هل كنت محبوبا في محيطك الاجتماعي»؛ لن يكون ذاك هو السؤال. لن يكون السؤال كم درجة علمية استطعت الحصول عليها. لن يكون السؤال في ذلك اليوم متعلقا بحصولك على «دكتوراة في الفلسفة» أو «لا دكتوراة». لن يكون متعلقا بذهابك إلى مورهاوس أو نوهاوس. لن يكون السؤال في ذلك اليوم، «ما مدى جمال بيتك؟»؛ لن يكون السؤال في ذلك اليوم «كم من المال كنزت؟ وما هي قيمة أسهمك وسنداتك؟». ولن يكون السؤال في ذلك اليوم «أي نوع من السيارات اشتريت؟». في ذلك اليوم، سيكون السؤال: «ماذا فعلت للآخرين؟».



علينا أن نتعلم يوما ما أن لا شيء أعظم من أن تساعد غيرك، وهذه هي الطريقة التي قررت أن أعيش بها بقية حياتي، وهذا هو ما يهمني. جون، إن كنت أنت وبرنارد متواجدين عندما أصل إلى آخر أيامي وأعبر نهر الأردن، أريدكما أن تخبراهم أنني طلبت ما يلي: لا أريد جنازة طويلة. في الحقيقة، لا حاجة لتأبين يطول أكثر من دقيقتين. أرجو أنني سأعيش أيامي الباقية بأفضل طريقة (ولا أعلم كم سأعيش، ولا يهمني ذلك) ولكنني آمل أن الواعظ سيصعد ويقول: «لقد كان مخلصا»، وهذا كل شيء. ذلك يكفي. هذه هي العظة التي أريد سماعها: «أحسنت أيها الخادم المحسن المخلص. لقد كنت مخلصا، وكنت مهتما بالآخرين» ذلك هو الطريق الذي أريد أن أسلكه من هذه النقطة إلى بقية أيام حياتي. «أعظم من بينكم هو خادمكم». أريد أن أكون خادما.



ولا تنس وأنت تخدم غيرك أن ما لديك هو بسببهم. لا تنس ذلك. إننا مرتبطون ببعضنا البعض في هذه الحياة وفي هذا العالم. وقد تعتقد أنك تمتلك ما تمتلك بمجهودك وحده. ولكن، قبل أن تأتي للكنيسة هذه الصباح، كنت معتمدا على أكثر من نصف سكان العالم. عندما تصحو في الصباح وتذهب إلى الحمام، وتتناول قطعة الصابون، وتلك صنعها لك فرنسي. عندما تتناول قطعة الإسفنج، وتلك صنعها لك تركي. عندما تتناول الفوطة، وتلك صنعتها لك يدا شخص من جزر المحيط الهادئ. ثم تذهب إلى المطبخ لتناول الفطور. تشرب بعض القهوة، والتي يصبها في كوبك شخص من جنوب أفريقيا. أو ربما تحب أن تشرب القليل من الشاي في هذا الصباح، وذلك يصبه في كوبك صيني. أو ربما تحب تناول القليل من الكاكاو، وذلك يصبه في كوبك شخص من غرب أفريقيا. وربما تريد بعد ذلك قليلا من الخبز، فتمد يدك لتناوله، وهو مصنوع لك من قبل مزارع يتحدث الإنجليزية، وآخر خباز. فقبل أن تنتهي من إفطارك في الصباح، تكون قد اعتمدت على أكثر من نصف العالم.



هناك العديد من الناس الذين يؤكدون إيمانهم بالله بشفاههم، وينكرون وجوده بطريقة معيشتهم. قد تكون رأيت منهم من يعاني من ارتفاع ضغط دم المعتقدات، وأنيميا الأفعال. إنهم ينكرون وجود الله بطريقة معيشتهم، وينغمسون في أمور أخرى. هم ينغمسون في مضاعفة حسابهم في البنك، وينغمسون في الحصول على بيت جميل، والذي يجب أن نحصل عليه جميعا. هم ينغمسون في الحصول على سيارة جميلة لدرجة نسيانهم الله. من البشر من تبهره الأضواء الاصطناعية في المدن، فينسون تلقائيا أن يرتفعوا لرؤية النور الكوني العظيم وأن يتفكروا فيه، فهو يظهر في الأفق الشرقي كل صباح، ويتحرك عبر السماء بحركة سيمفونية، فيلوّن زرقة السماء بمختلف الألوان؛ هذا النور الذي لن يستطيع الإنسان صنعه أبدا. إنهم ينغمسون في التحديق في ناطحات سحاب شيكاغو لوب أو مبنى الإمباير ستيت في نيويورك، إلى أن ينسوا تلقائيا أن يتفكروا في الجبال العظيمة التي تقبل السماوات، حتى وكأن قبابها تستحم في العلو الأزرق؛ وهذا ما لن يستطيع الإنسان صنعه أبدا. إنهم ينشغلون في التفكير بالرادار والتلفزيون، فينسون تلقائيا التفكير في النجوم التي تزين السماوات كمصابيح الأبدية المتأرجحة.

* * *

قد يعرف الإنسان اليوم الكثير، لكن معرفته لا تلغي الخالق.

* * *

أستطيع اليوم أن أواجه أي رجل أو امرأة، وقدماي ثابتة على الأرض، ورأسي مرفوع، لأنني أعلم أنك إن كنت على حق، فإن الله يدافع عنك.

* * *

اذهبوا هذا الصباح. أحبوا أنفسكم، وهذا يعني الاتباع الصحي والعقلاني للمصالح الشخصية. إنكم مأمورون بذلك، وهذا هو طول الحياة. ثم أتبعوا ذلك بـ: أحب جارك كما تحب نفسك. إنكم مأمورون بذلك، وهذا هو عرض الحياة. والآن سأهم بإعلامكم أن هناك أمرا أوليا أكثر عظمة: «أحب الله بكل قلبك، وبكل روحك، وبكل قوتك».

* * *



الكثير منا يبدأ حياته ببناء معابد: معابد للشخصية، معابد للعدالة، معابد للسلام، ونحن لا ننتهي من بنائها، لأن الحياة مثل سيمفونية شوبرت التي لم يتم الانتهاء من تأليفها. أحيانا كثيرة نبدأ في محاولة بناء المعابد المختلفة، لذلك أعتقد أن من أعظم أسباب المعاناة في الحياة هو أننا نستمر في محاولة إنهاء ما لا يمكن إنهاؤه.

* * *

دعونا نلاحظ أولا أن الحياة عبارة عن قصة عن الأحلام المحطمة. عمل المهاتما غاندي سنين طويلة على تحرير شعبه، ومن خلال ثورة سلمية قوية استطاع الفوز بذلك الاستقلال. كان الشعب الهندي لسنين تحت سيطرة السياسة، والاستغلال اقتصادي، وكان منقسما ومذلولا على يد القوة الأجنبية، ولكن غاندي قاوم ذلك. قاوم ليوحد شعبه، ولم يكن ثمة شيء أعظم في رأيه من دفع هند موحدة وعظيمة للمضي إلى مصير أفضل، وكان ذلك حلمه. ولكن كان على غاندي أن يواجه الحقيقة المتمثلة في اغتياله، وموته كسير القلب، لأن أمته التي أراد توحيدها انتهى بها الأمر إلى الانقسام بين الهند وباكستان نتيجة للصراع بين الهندوس والمسلمين.

* * *

إن الحياة قصة طويلة ومستمرة عن محاولة بناء معبد عظيم، وعدم التمكن من إنهائه.

* * *

يوما ما، تحدث بولس الرسول عن الذهاب إلى إسبانيا. كان الذهاب إلى إسبانيا من أعظم أحلامه، ليحمل الإنجيل إلى هناك. لم يطأ بولس الرسول إسبانيا أبدا، وانتهى به الأمر في زنزانة في روما. هذه هي قصة الحياة.

* * *

كان العديد من أسلافنا يغني عن الحرية، وقد حلموا بذلك اليوم الذي سيستطيعون فيه الخروج من صدر العبودية، من ليل الظلم الطويل. واعتادوا أن يغنوا أغانٍ قصيرة: «لا يعلم أحد المصاعب التي واجهتها؛ لا أحد يعلم إلا المسيح». كانوا يفكرون في يوم أفضل وهم يحلمون حلمهم. وكانوا يقولون: «أنا سعيد أن المصاعب لا تدوم دائما. في نهاية الأمر، سأستطيع إنزال حملي الثقيل.» وقد كانوا يستطيعون غناء ذلك بسبب قوة حلمهم. ولكن الكثير منهم ماتوا بدون تحقيق ذلك الحلم.

* * *

إن الصراع دائما موجود، وقد يكون الوضع محبطا أحيانا. البعض منا يحاول بناء معبد للسلام. نتكلم ضد الحرب، ونحتج، ولكنك تحس أن رأسك يضرب في حائط من الكنكريت، ويبدو لك أن لا شيء ذا معنى. وأحيانا كثيرة عندما تهم ببناء معبد للسلام، تبقى وحيدا، محبطا، متحيرا.

* * *

هذه هي قصة الحياة، وما يجعلني سعيداً هو أنني أستطيع أن أسمع ذلك الصوت الذي يصيح عبر مشهد الزمن، قائلا: «قد لا يتحقق ذلك اليوم، وقد لا يتحقق غدا، ولكنه مستقر في قلبك؛ يكفي أنك تحاول». قد لا تراه الآن، وقد لا يتحقق الحلم الآن، ولكن رغبتك في جعله حقيقة هي شيء جيد. شيء حسن أن يكون ذلك في قلبك.

* * *

اشكروا الله في هذا الصباح أن لنا قلوبا نضع فيها شيئا ذا معنى، فالحياة قصة مستمرة عن الأحلام المحطمة.

* * *

عندما تبدأ ببناء معبد مُبدع، لأي غرض كان، فعليك أن تواجه حقيقة وجود صراع بين الخير والشر في قلب الكون. إنه موجود: الصراع في قلب الكون بين الخير والشر. الديانة الهندوسية تشير إليه كصراع بين الوهم والحقيقة. الفلسفة الأفلاطونية تشير إليه كصراع بين الجسد والروح. الديانة الزرداشتية، وهي ديانة قديمة، كانت تشير إليه كصراع بين إله النور وإله الظلمة. اليهودية والمسيحية تشير إليه من ناحية عداء الشيطان مع الله.

* * *

في داخل كل منا هناك حرب قائمة. إنها حرب أهلية. لا يهمني من تكون، ولا أين تعيش؛ ستكون هناك حرب أهلية قائمة في حياتك. عندما تحاول أن تكون خيرا، تجد ما يشدك لتصبح شريرا. إنها قائمة في حياتك. عندما تحاول أن تحب، تجد ما يشدك للكراهية. عندما تحاول أن تصبح طيبا وتقول أشياء طيبة عن الناس، تجد ما يشدك لتكون غيورا وحسودا وأن تغتابهم.

* * *

هناك شيزوفرينيا، كما يسميها علماء النفس وأطباء النفس، قائمة في داخل كل منا. وأحيانا كثيرة كلنا نعرف أن في داخلنا السيد هايد والدكتور جيكل، وفي النهاية فإننا نهتف مع أوفيد، الشاعر اللاتيني: «إنني أرى وأشجع الجانب الجيد في الحياة، ولكن الشر هو ما أفعله.» نخلص أيضا إلى موافقة أفلاطون في رأيه أن الشخصية الإنسانية هي كعربة بحصانين عنيدين، كل منهما يريد الذهاب في اتجاه مخالف. وأحيانا نهتف مع القديس أغسطينوس كما قال في اعترافاته: «يا رب، اجعلني نقيا، ولكن ليس الآن». وأحيانا ننتهي إلى الهتاف مع بول الرسول: «الخير الذي أحب، لا أفعله، والشر الذي لا أحب، أعمله». أو قد ننتهي الاتفاق مع قول جوته: «هناك في داخلي ما يكفي ليجعلني رجلا نبيلا، أو مارقا». هناك صراع في داخل الطبيعة الإنسانية، ووقتما بدأنا نحلم أحلامنا، ونبني معابدنا، فعلينا أن نكون صادقين مع أنفسنا ونعترف بذلك.

* * *

في يوم الحساب، لن يحاسبنا الله على الأحداث المنفصلة أو الأخطاء المتناثرة التي ارتكبناها، ولكن على توجهنا العام في حياتنا. إن الله يعلم في يوم الحساب أن عباده ضعفاء وغير ذوي بأس. في يوم الحساب، ما يحاسبنا الله عليه هو القلب السليم. إن الخلاص لا يكمن الوصول إلى الأخلاق الكاملة، ولكنه يكمن في المحاولة والسير في الطريق السليم.

* * *

هناك طريق سريع اسمه طريق 80. لقد شاركت في مسيرة على هذا الطريق السريع من سيلما، ألاباما، إلى مونتجمري. ولكنني لن أنسى أول مرة قدنا فيها السيارة على طريق 80 مع كوريتا ورالف وخوانيتا أبيرناثي إلى كاليفورنيا. قدنا السيارة من مونتجمري إلى لوس أنجيليس على طريق 80 حيث أنه يصل إلى لوس أنجيليس. وقد تعلمون أن كونكم رجالاً خيرين أو نساء خيرات لا يعني وصولكم إلى لوس أنجيليس؛ إنه بكل بساطة يعني أنكم على طريق 80. ربما لم تصلوا إلى سيلما، أو ربما لم تصلوا إلى ميريديان، ميسيسيبي، أو مونرو، لويزيانا، ولكن ليس هذا هو السؤال. السؤال هو هل أنت على الطريق الصحيح.

* * *

الخلاص هو كونك على الطريق الصحيح، بدون حاجة إلى الوصول إلى وجهة معينة.

* * *

السيء فعلا في الحياة هو أن تحاول أن تصل إلى لوس أنجيليس من الطريق السريع رقم 78. عندها، ستكون ضائعا فعلا. ضاع ذلك الخروف ليس لإنه كان يفعل شيئا سيئا في تلك القصة، ولكنه كان يسلك الطريق الخطأ. لم يكن يعي ما يفعله، فقد كان مستغرقا في أكل العشب اللذيذ، فسلك الطريق الخاطئ. الخلاص هو إيقانك أنك على الطريق الصحيح.

* * *

قبل بضعة أسابيع، جاءني شخص ليخبرني شيئا ما عن شخص أكن له عظيم الاحترام، وكان يحاول أن يخبرني شيئا سيئا عن هذه الشخصية، شيئا قام بفعله، فرددت عليه: «أولا، إني لا أصدق ذلك. ثانيا، حتى وإن كان ذلك صحيحا فلا يزال رجلا صالحا لأن قلبه سليم، وفي يوم الحساب لن يعاقبه الله على أخطاء قليلة منفصلة قام بارتكابها، لأن حياته تسير في الاتجاه السليم.

* * *

السؤال الذي أريد أن أطرحه عليكم اليوم هو: هل قلبك سليم؟ إن لم يكن قلبك سليما، فأصلحه اليوم. اسأل الله المعونة على إصلاحه. فليقل الناس عنك: «رغم أنه لم يكن قد وصل إلى أعلى المراتب، ورغم أنه لم يحقق كل أحلامه، ولكنه حاول». ألن يكون قول هذا عنك رائعا؟ «كان يحاول أن يكون رجلا صالحا؛ كان يحاول أن يكون رجلا عادلا؛ كان يحاول أن يكون رجلا صادقا. كان قلبه في المكان الصحيح». وإنني لأسمع صوتا خالدا يصيح: «إني أتقبلك. سأغدق عليك النعمة لأنها كانت في قلبك».

* * *

لا يتوجب عليكم في هذا الصباح أن تخرجوا وتقولوا إن مارتن لوثر كنغ قديس. كلا؛ أريد أن أعلمكم هذا الصباح أني مذنب كبقية خلق الله، ولكني أريد أن أكون رجلا صالحا.

* * *

في هذا الصباح، إن كنت أستطيع أن أفيدكم بشيء، فهو دعوتي لكم بأن تمتلكوا قاربا قويا من الإيمان. ستهب الريح. عواصف الإحباط آتية. عذابات وآلام الحياة قادمة. تأكدوا من أن قاربكم قوي، وتأكدوا أنكم تمتلكون مرساة. في أوقات كهذه، أنتم بحاجة إلى مرساة. وتأكدوا أيضا أن مرساتكم ثابتة.

* * *

من أعظم العوائق في الحياة هي وجود الكثير من الناس الذين يجدون أنفسهم يعيشون في وسط زمن عظيم من التغيير الاجتماعي، ولكنهم يفشلون في تبني المواقف الجديدة، والاستجابات العقلية الجديدة التي يتطلبها الوضع الجديد، فينتهي بهم الأمر بالنوم في خضم الثورة.

* * *

لا يمكن نكران حقيقة وجود ثورة عظيمة تحدث الآن في العالم، ومن الممكن القول أنها ثورة ذات ثلاثة أبعاد: هناك الثورة التكنولوجية، ونتائجها المتمثلة بالأتمتة والاعتماد المتزايد على الحاسوب الآلي. وهناك ثورة الأسلحة، بصناعة الأسلحة الذرية والنووية المخصصة لخوض الحروب. وهناك ثورة حقوق الإنسان، مع تفجر الحرية الحاصل في جميع أنحاء العالم. نعم إننا نعيش في زمن مليء بالتغيرات. ويظل الصوت ينادي عبر مشهد الزمن قائلا: «انظروا، سأجدد كل شيء، وسيسقط ما مضى».

* * *

أول التحديات التي نواجهها هي أن نتبنى وجهة نظر عالمية. لا يستطيع شخص أن يعيش معزولا، ولا تستطيع أمة أن تعيش معزولة، ومن يعتقد أنه يستطيع أن يعيش معزولا فإنه يختار أن ينام في خضم الثورة. العالم الذي نعيش فيه موحد جغرافيا، والتحدي الذي نواجهه اليوم هو أن نوحده بالأخوة.

* * *

من خلال عبقريتنا العلمية والتكنولوجية، استطعنا تحويل العالم إلى حي صغير، ولكننا إلى الآن لم نلتزم أخلاقيا بتحويله إلى جماعة متآخية.

* * *

علينا جميعا أن نتعلم أن نعيش كأخوة، أو سنموت جميعا كحمقى.

* * *

إننا جميعا مرتبطون بقماش القدر، واقعون تحت طائلة شبكة الاعتماد على بعضنا البعض، والتي لا يمكن النفاذ منها، وما يؤثر على شخص، يؤثر من حينه على الجميع بشكل غير مباشر. لسبب ما؛ لن أستطيع أبدا أن أكون ما يجب أن أكونه حتى تكون أنت ما يجب أن تكونه، ولا يمكن لك أن تكون ما تريد أن تكونه حتى أكون ما يجب أن أكونه. هذا هو حال الكون، وهذه هي الطريقة التي بني بها.

* * *

لقد صور جون دون ذلك بطريقة صحيحة قبل سنين مضت، حيث قال: «لا يوجد إنسان يمثل جزيرة في حد ذاته؛ كل إنسان هو قطعة من القارة، وجزء من الأرض الأم.» وينهي حديثه قائلا: «موت أي شخص يضعفني لأنني جزء من الإنسانية؛ وبناء على ذلك، لا ترسل أحدا ليسأل لك لمن تُقرع الأجراس، إنها تُقرع لك أنت.» علينا أن نرى ذلك ونؤمن به ونعيش به إن أردنا أن نظل متيقظين في خضم هذه الثورة العظيمة.

* * *

لابد من القول هذا الصباح أن الظلم العنصري مايزال حملا ثقيلا على السود، وعارا على البيض.

* * *

إن الحقيقة غير السعيدة عن العنصرية هي أنها أسلوب متبع في حياة معظم الأمريكان البيض، سواء تم التحدث عنها أو لا، تم الاعتراف بها أو لا، وسواء كانت خفية وأحيانا واضحة. مرض العنصرية سمم وتخلل الجسم السياسي كله. ولا أرى ما هو أكثر إلحاحا من أن تعمل أميركا بشغف وبلا هوادة على العمل في التخلص من مرض العنصرية.

* * *



هناك من يسأل الزنجي وحلفاءه من البيض في المجتمع بكل صدق: «لم لا تبطئون؟ توقفوا عن الضغط والمطالب المستعجلة. لا يوجد ما سيحل المشكلة إلا الوقت. وإن التزمتم باللطافة والصبر واستمررتم في الصلاة، فخلال مئة أو مئتي سنة، ستُحل المشكلة من تلقاء نفسها». هنا يكمن الجواب على هذه الخرافة: الوقت عامل محايد، من الممكن استخدامه بشكل بناء أو هادم. يؤسفني أن أخبركم في هذا الصباح أنني مقتنع تماما أن قوى الشر في أمتنا، أن أتباع أقصى اليمين في أمتنا، الأشخاص الذين هم في الجانب الخطأ، قد استخدموا عامل الوقت بشكل أكثر فعالية من أصحاب القوى الخيرة. وربما سيكون علينا أن نتوب في هذا الجيل، ليس بسبب الكلمات اللاذعة وعنف الأشرار، بل بسبب الصمت المروع ولامبالاة الأخيار الذين يتمهلون ويطلبون منا «أن انتظروا».

* * *

علينا أن ندرك في وقتٍ ما أن تقدم الإنسانية لا يأتي بشكل تلقائي، بل من خلال الجهود المتواصلة والعمل الدؤوب لأشخاص مخلصين ومستعدين للعمل لخدمة الله. وبدون هذا العمل الجاد، يصبح الوقت حليفا للقوى البدائية لتخلف المجتمعات. لذا علينا أن نساعد عامل الوقت وأن ندرك أن الوقت دائما مناسب لعمل ما هو صحيح.

* * *

هناك من لايزال يشعر أنه حتى يتخلص الزنجي من الفقر، ويتخلص من العيش في الأحياء الفقيرة، ويتخلص من التفرقة والفصل العنصري، فعليه أن يفعل ذلك بنفسه. لذا، فهم يخبرون الزنجي أنه يجب أن يرفع نفسه بواسطة حبل حذائه. ولكنهم لا يتوقفون لحظة ليفكروا أنه لا يوجد عرق آخر غير الزنوج تم استعبادهم على تراب أميركا. إن من يقول ذلك لا يتوقف لحظة ليفكر أن هذه الأمة حولت لون بشرة الزنجي إلى وصمة عار. وأكثر من ذلك، فهم لا يتوقفون ليفكروا في الدين الذي يدينون به للناس الذين استُعبدوا لمدة مئتين وأربع وأربعين سنة.

* * *

إنه فعل قاس أن تطلب من شخص بلا حذاء أن يربط حذاءه بنفسه.

* * *

علينا أن ندرك أن جذور العنصرية ضاربة في عمق وطننا، وأنه يجب أن يوجد شيء كبير جدا وإيجابي ليمحي آثار العنصرية ومآسي الظلم العنصري.

* * *

ثمة شيء آخر أود ذكره، وهو أيضا يشكل، بالإضافة إلى العنصرية، تحديا. إننا نواجه تحدي تخليص أمتنا والعالم من الفقر، فهو كأخطبوط ضخم، ينشر أذرعه المزعجة اللزجة في القرى في جميع أنحاء العالم. سيخلد ثلثا سكان العالم إلى النوم في هذه الليلة وهم جائعون، بالإضافة إلى سوء مساكنهم، وتغذيتهم، ولباسهم. رأيت ذلك في أميركا اللاتينية؛ رأيت ذلك في أفريقيا؛ رأيت ذلك الفقر في آسيا.

* * *

كيف يتفادى المرء الاكتئاب عندما يرى بعينيه عباد الله وهم ينامون على الرصيف ليلا؟ ينام في بومباي مليون شخص على الرصيف كل ليلة. ينام في كلكتا أكثر من 600 ألف شخص على الرصيف كل ليلة، فهم لا يملكون أسرة ينامون فيها، ولا منزل لديهم يأوون إليه. كيف يتفادى المرء الاكتئاب عندما يكتشف أنه من أصل تعداد سكان في الهند يبلغ 500 مليون، يحصل 480 مليون على دخل أقل من 90 دولارا في السنة، ومعظمهم لم يزر الطبيب أو طبيب الأسنان في حياته.



عندما بدأت في التفكير في حقيقة أننا في أميركا ننفق ملايين الدولارات كل يوم لنخزن فائض الطعام، قلت لنفسي: «أعلم أين يمكننا تخزين الطعام مجانا: في البطون المتجعدة لملايين الناس في جميع أنحاء العالم الذين يذهبون للنوم جوعى». وربما كنا ننفق الكثير جدا من ميزانيتنا القومية على إنشاء القواعد العسكرية في أنحاء العالم، بدلا من إنشاء قواعد للتعاطف والتفاهم.

* * *

إننا لا نرى الفقر في الخارج فقط، بل أذكرهم أن في أمتنا ذاتها حوالي أربعة ملايين فقير، أراهم هنا وهناك. رأيتهم في غيتوات الشمال، ورأيتهم في أرياف الجنوب، ورأيتهم في الأبالاشيا. كنت أراهم وأنا أرحل في أنحاء البلاد، وعلي أن أعترف أن بعض المواقف دفعتني للبكاء.

* * *

لقد رأيت من الآباء والأمهات من قال لي أنهم لم يكونوا فقط عاطلين عن العمل، ولكنهم لا يملكون أي مصدر للدخل، فهم لا يملكون راتباً تقاعدياً يعينهم في شيخوختهم، ولا شيك معونة اجتماعية، ولا أي شيء آخر. سألتهم «كيف تعيشون؟»، فقالوا: «نرحل هنا وهناك إلى هذا الحي أو ذاك، نسألهم المعونة. وعندما يأتي موسم التوت، فإننا نجمعه. وعندما يأتي موسم الأرانب، فإننا نصيد بعضها. هذا كل شيء».

* * *

لأن طرقاتنا السريعة تُبعدنا عن الغيتوات، فإننا لا نرى الفقراء.

* * *

إننا آتون إلى واشنطن في حملة الفقراء. نعم، سنجيء بالمتعبين الفقراء المجتمعين. سنجيء بالذين مروا بسنين من الألم والإهمال. سنجيء بالذين يشعرون بأن الحياة عبارة عن ممر طويل ومقفر بدون إشارات خروج. سنجيء بالأطفال والبالغين والشيوخ الذين لم يزوروا طبيبا أو طبيب أسنان قط في حياتهم.

* * *

لقد قرأنا يوما ما «إننا نعتقد أن هذه الحقائق بديهية، وهي أن الناس كلهم خلقوا سواسية، وأن خالقهم أعطاهم حقوقا لا يمكن انتزاعها، ومنها الحياة والحرية والبحث عن السعادة». ولكن، إن كان الرجل لا يملك عملا أو مصدرا للدخل، فإنه لا يملك حياة ولا حرية ولا إمكانية البحث عن السعادة، فهو فقط مستمر على قيد الحياة.

* * *

لقد أتينا لنطلب من أميركا أن تعطينا حقنا من الكمبيالة التي وقعتها سنين مضت. لقد أتينا لنضطلع بتحرك سلمي كبير، حتى نلفت الانتباه إلى تخلف الوعد عن التحقيق، وحتى نكشف المخفي للعلن.

* * *

ما أريد قوله هو أن التحدي الآخر الذي نواجهه هو أننا يجب أن نجد بديلا عن الحرب وإراقة الدماء. من يشعر، ومازال الكثيرون يشعرون، أن باستطاعة الحرب حل المشكلات الاجتماعية التي تواجه الإنسانية فهو يختار أن ينام في خضم ثورة عظيمة. في أحد المناسبات، قال الرئيس كينيدي: «يجب على الإنسانية أن تضع حدا للحرب، أو ستضع الحرب حدا للإنسانية»، وعلى العالم أن يستمع لهذا. أرجو من الله أن تستمع أميركا لهذا قبل أن يفوت الأوان، لأننا اليوم نخوض حربا (في فيتنام).

* * *

ها نحن نخوض على بعد 10 آلاف ميل عن الوطن حربا تزعم أنها ستحرر الشعب الفيتنامي، بينما لم ننته بعد من حل مشاكلنا الداخلية. إننا نرغم الشباب السود والبيض على العراك والقتال بتآزر متوحش، ولكنهم يفشلون على أرض الوطن في العيش جنبا إلى جنب.

* * *

لم يعد الخيار، يا رفاقي، بين العنف واللاعنف؛ إنه اللاعنف أو الهلاك. حتى إن البديل عن نزع الأسلحة، والبديل عن تعليق أوسع للتجارب النووية، والبديل عن تقوية الأمم المتحدة ونزع أسلحة العالم كلها، سيكون سقوط البشرية إلى هاوية الهلاك، وسيتحول مسكننا الأرضي إلى جحيم لم يخطر ببال دانتي.

* * *

سيأتي وقت يتوجب على المرء فيه أن يتخذ موقفا ليس آمنا، ولا شعبيا، ولكنه موقف يمليه عليه ضميره. أعتقد أننا اليوم بحاجة إلى جميع الناس ذوي النوايا الصالحة أن يأتوا بعمل صالح ضخم، ويقولوا كما تقول أغنية زنجية: «من الآن فصاعدا، لن نخوض الحرب». وهذا هو التحدي الذي يواجه الإنسان الحديث.

* * *

أؤكد لكم أن هدفنا هو الحرية، ولدي اعتقاد بأننا سنصل إليه، لأنه مهما حادت أميركا عن الحرية، فهذا هو هدفها. حتى وإن كنا قد اضطهدنا واحتُقرنا كأمة، فإن مصيرنا مرتبط بمصير أميركا.

* * *

بهذا الإيمان نستطيع أن نقتلع من جبل القنوط صخرة الأمل. بهذا الإيمان نستطيع تحويل الأصوات المزعجة غير المتناغمة لأمتنا إلى سيمفونية جميلة من الأخوة.

* * *

كنت في نيويورك وهارلم هذا الأسبوع، فدخلت إلى منزل أحدى الأمهات اللواتي يستلمن معونة اجتماعية. رأيتها وهي لا تمتلك سجادا يمتد من حائط لحائط، بل جرذانا وصراصير تمتد من حائط لحائط. وقفت في الشقة فأخبرتني الأم: «لا يقوم المالك بإصلاح هذا المكان. أمضيت سنتين هنا ولم يقم بإصلاح أي شيء»، وأشارت إلى الحيطان والسقف المتهاوي. أرتني الحفر التي دخلت منها الجرذان، وأخبرتني أنهم ليلة بعد ليلة عليهم أن يبقوا مستيقظين حتى يُبعدوا الجرذان والصراصير عن الأطفال. سألتها «كم إيجار هذه الشقة؟»، أجابت «مئة وخمسة وعشرون دولار». نظرت، ثم فكرت وقلت لنفسي «إنها لا تساوي 60 دولارا». يضطر الفقراء لدفع الكثير مقابل القليل.





غيداء محمد

Ghaidaa Mohamad

استاذة في الجامعة الأمريكية في الكويت

gmohamad@auk.edu.kw

شذرات وأقوال

مارتن لوثر كنغ

«لا يتوجب عليكم في هذا الصباح أن تخرجوا وتقولوا إن مارتن لوثر كنغ قديس. كلا؛ أريد أن أعلمكم هذا الصباح أني مذنب كبقية خلق الله، ولكني أريد أن أكون رجلاً صالحاً.»

Martin L King Jr

info@masaapublishing.com
www.masaapublishing.com
P.O.Box 65317 Manama,
Kingdom of Bahrain

